الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مشروع الدراسات الدلالية العربية

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير الموسومة :

أثـر البلاغـة فـي التغيـر الدلالـي للكلمات

سـورة البقـرة -نمـوذجـا-

إعداد الطالب:

عيسى بن الطيب

إشـراف :

د.أحمد قريش

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. عبد الجليل مرتاض	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
د . أحمـد قريش	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	مشرفا
أ د.خالدي هشام	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
أ.د.مصطفاوي عبد الجليل	أستاذ التعليم العالي	*جامعة تلمسان*	عضوا
د.عبد الناصر بوعلي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	عضوا

السنة الجامعيـة: 1436.1435 // 2015.2014

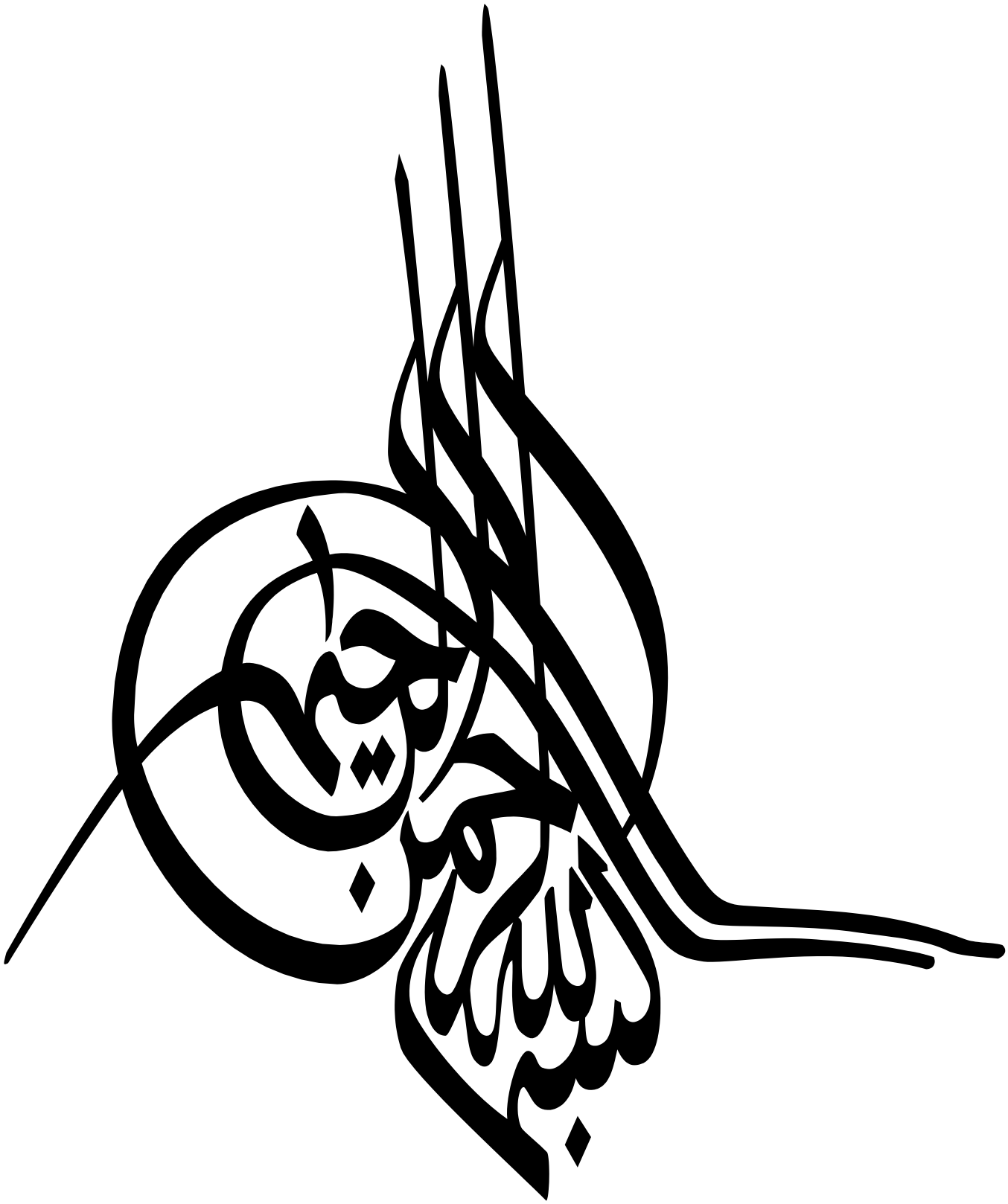
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى من أوصى الله بهما خيرا كثيرا، وطاعة أبدية فقال

:﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (الإسراء: 23).

إلى والدي عبد القادر رحمه الله –رحمة واسعة – وقدَّس روحه وطيَّب ثراه

الذي تمنى وأحب لي النجاح والفلاح والصلاح .

وإلى قرة العين ومنبع الحنان، ومعراج الحب، إلى الوالدة الحبيبة الغالية المعطاءة التي

ما بخلت عليَّ يوما بدعواتها المباركة الطيبة أطال الله

بقاءها في كنف العمل الصالح، وبارك فيها.

إلى إخوتي وأخواتي والزوجة الكريمة وأبنائي مالك، فاطنة قطر الندى، جوهر.

إلى كل الأهل والأقارب من أعمام وعمات وأخوال وخالات

وجميع الأصهار والأصحاب من قريب وبعيد.

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

قال الله تعالى:﴿ ومَن شَكرَ فإنّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإنَّ ربِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النَّمل :40)

وقال النبي الكريم:(مَنْ لَايَشْكُر النَّاس لَايَشْكُرِ الله) .

وإنني لأتقدم بخالص الشُّكر وعظيم الامتنان لمن لم يدخر في دعمي لإتمام هذا البحث جهداً أو وقتاً مبتدئاً بأستاذي المشرف الدكتور:أحمد قريش حفظه الله ورعاه على نصحه وإرشاده حتى خرجت هذه المذكرة على أفضل صورة ووجه.

ثم الشُّكر موصول لكل من الأستاذ:عبد الناصر بوعلي صاحب المشروع،وكل أساتذتي الذين نهلت من علمهم وكل الأساتذة الفضلاء بالجامعة على تكرمهم وعلى تفضلهم بقبول مناقشة هذه المذكرة وعلى كلّ إفادة، أونصيحة،أوتوجيه،قدموها لي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم ولو بالدعاء لإتمام هذه المذكرة.

وأخيراً كل الـشكر إلى قسم اللغة والأدب العربي أساتذةً وعاملين.

مقـــــــدمـــــــــة

الحمد لله على كل النعم ، وأفضل نعمه أن هدانا للإسلام، وأنزل إلينا كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم، وهو الحقل الذي لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي أسراره.

وإن الدارس للبحوث اللغوية عند العرب قديما وحديثا يجد أنها كانت ولا تزال تسعى جاهدة لخدمة أقدس وأفضل كتاب وأشرفه وهو القرآن الكريم.

وقد كان العمد الكبير في الدراسة بالرجوع إلى التراث العربي شعرا ونثرا لفهم كتاب الله عزول، الذي نزل بلغة العرب وعلى عاداتهم وفي استعمالاتهم وحياتهم وشؤونهم اليومية.

وخير دليل على ذلك أن التفاسير الأولى كان السند الأول والأخير وبه البدء كلام العرب في ذلك، والشعر الأصيل الذي هو ديوانهم.

بيد أن البحث البلاغي تطور وازدهر في كنف الدراسات والبحوث اللغوية في عدة ميادين وكانت تحوم حول النحو والدلالة، حيث ما لبث إلى أن صارت الدلالة ركيزة أساسية بل فرعا يلتقي إلى حد كبير مع البلاغة في علم المعاني.

ومع هذا فلا تكاد العلاقة تنفك بين الدلالة والبلاغة، حيث إن الدلالة تدرج ضمن علم المعاني بالخصوص إذا تتبعنا نقاط اللقاء ومجال البحث.

ولعل أهم استثمار للبلاغة والدلالة من الجانب التنظيري وبالأخص التطبيقي القرآن الكريم كلام الله المنزل على أشرف الخلق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

ومع هذا فهناك مقولة مشهورة يعلمها القاصي والداني وهي (الألفاظ قبور المعاني)، التي يستشف منها: أن المعاني مترامية هنا وهناك علمها من علمها وجهلها من جهل.

أ

والقرآن الكريم إعجازه البياني وسحر كلماته أربك الكثير من الدارسين البلغاء المتضلعين في فهم معانيه ومكنوناته.

وهو ماجرني إلى عدة إشكاليات أهمها:

هل القارئ لكتاب الله على علم بالمعاني حين القراءة؟، وهل البلاغة التي حدد معالمها علماؤنا الأجلاء قادرة على حصر إن لم نقل تحديد المعاني لفهم هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟، وهل دلالة الكلمات في القرآن واحدة أم متعددة؟ وما سر هذه الدلالة القرآنية؟، وكيف يمكننا تبيان أثر البلاغة في تغيير دلالة الكلمات في القرآن الكريم؟ .

وأملا مني في خدمة للقرآن الكريم وحرصا على إبراز بعض جوانب إعجازه التي كشف عنها الأقدمون والمحدثون، ولا يزالون يكشفونه، ويبقى البحث مستمرا، إذ يسعى ويجتهد الباحثون للتنقيب عن خبايا الوحي المنزل وبيان أسراره، حتى وضعوا علم البلاغة إلى جانب علم الدلالة، لإعطاء وجه هذا السحر البياني والرونق السليم والجزالة ومنتهى الفصاحة ومبلغ الفهم.

ويعد مجال البحث في القرآن الكريم من أهم الاستثمار المعرفي الموضح بالحجج الدامغة والمعارف القطعية، وهو ما جعلني أختار البحث في جانب البلاغة ووجه الدلالة في القرآن الكريم بالخصوص في سورة البقرة ليكون مسرح الدراسة بالتنظير والتطبيق، والتي نسأل المولى القدير أن أوفق وأحيط بجوانب البحث وأعطيه حقه ولو بالنزر القليل.

ومن جملة أهداف اختيار الموضوع ما يلي:

- العناية ببلاغة القرآن الكريم وإعجازه وبيانه.
- تأصيل العلاقة بين البلاغة وعلم الدلالة وتأثرهما ببلاغة الوحي.
- الإحاطة بأهم القضايا البلاغية وبالخصوص علم المعاني لصلتها بالدلالة.
- صقل الذوق البلاغي والدلالي لفهم النصوص وتذوقها والحكم عليها.
- بيان أثر القرآن الكريم في نشأة علمي البلاغة والدلالة وتطورهما.
- استنباط الخصائص البلاغية من خلال القرآن الكريم.
- التمكن من الفهم الصحيح للقرآن الكريم بإتقان دراسة الأساليب العربية البليغة ومدى تغيرها دلاليا.

وعليه ففي المدخل ذكرت بداية الدراسات الأولى للبلاغة والدلالة، وهو ما مكنني من الولوج إلى الفصل الأول والموسوم بأثر البلاغة في المعنى والذي تضمن تعريفا للبلاغة وأهميتها ثم فروعها الثلاثة (علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع)، وتحدثت عن أهم المباحث البلاغية من تقديم وتأخير، وفصل ووصل، وتعريف وتنكير، وإظهار وإضمار، وقصر وإيجاز وإطناب ومساواة ومجاز.

أما الفصل الثاني فقد عُنون بالتغير الدلالي للكلمات، وكان مضمونه تعريف الدلالة وأثرها في فهم النصوص، ثم علاقة اللفظ بالمعنى، ثم مظاهر التغير الدلالي (انتقال الدلالة من عام إلى خاص انتقال الدلالة من خاص إلى عام، رقي الدلالة، هبوط الدلالة)، بالإضافة المشترك اللفظي، الأضداد حروف المعاني، وختمته بالفروق اللغوية.

والفصل الثالث وهو الجزء التطبيقي فتحدثت عن سورة البقرة، وسبب تسميتها ونزولها وفضلها، وعرجت إلى المفسرين البلاغيين، ثم بينت تغير الدلالة في السورة بدءا بالتقديم والتأخير والمشترك اللفظي، والتضاد، وأخيرا حروف المعاني.

وختاما كانت الخاتمة وهي خلاصة وحوصلة بحثي، وفيها عرضت أهم النتائج الموصل إليها.

وقد اعتمدت كتبا منوعة، منها ما هو من أمات الكتب العتيقة، ومنها ما هو حديث ومعاصر.

والله نسأل السداد والتوفيق إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تلمسان في :20 أفريل 2015

عيسى بن الطيب

د

مدخـــــــــل

في بحثي هذا كان مدار الدراسة على شقين هامين هما:الدراسات البلاغية والدلالية وميدانهما.

فالدراسة البلاغية نالت اهتمام الكثير قديما وحديثا، و "قد قدم علماؤنا القدماء خدمات جليلة، وعظيمة، وكانوا يتوزعون على ثغور متعددة كل منهم يحاول أن يسد ثغرة وكان توفيق الله يحالفهم، نظرا التي ظهرت في علومهم الغزيرة، وظهرت كذلك في قبول الناس لذلك التراث العظيم الذي خلفوه.

واحتلت الأمة تلك المكانة العظيمة بفعل الإسلام، حيث انتشل الناس من حياة الضياع والضلال، حياة الطاقات المهدرة إلى حياة الإيمان والاستقرار، حياة العلم، حياة البذل في كل الميادين.

وليس ذلك بأمر مستخف، فلقد انبثقت جل العلوم التي خلفها علماؤنا بباعث إيماني وانتشرت دراسات متعددة حول القرآن الكريم، وينشئون من حوله العلوم التي تساعد على فهمه، وعلى استنباط معانيه، وكل ما يكفل الاستفادة العظمى من كلام الله تعالى.

وكانت البلاغة العربية من هذه العلوم، منذ أن كانت بدايات متواضعة إلى أن مخضتها التجارب، من خلال تتابع نظر العلماء الأفذاذ فيها، تحدوهم العزيمة والإرادة، فأصبح للبلاغة شأن عظيم، عرف قدرها كل من اشتغل بتفسير القرآن الكريم، حتى وجد أن العلماء يجعلونها من الأعمدة الأساسية لكل طامح إلى تفسير كلام الله تعالى.

هذا وقد ارتبطت البلاغة العربية تاريخيا بأمرين هامين هما:

الأول: كونها أداة للتعبير الجميل في كل نص أدبي رفيع، سواء كان هذا النص من نتاج البيئة الجاهلية أم بعد ظهور الإسلام.

الثاني: تلك الصلة العظيمة – حقا – بين البلاغة، وبين الكشف عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم

وكون الإعجاز القرآني إعجازا يرجع إلى فصاحته، وبلاغته ونظمه يكاد يكون موضع إجماع بين من كتبوا في الإعجاز قديما وحديثا إضافات أخرى كالإخبار عن الغيوب، وصدق الوعد، والوعيد والخبر قديما، وكالإعجاز العلمي حديثا.

ورغم هذا كله، فإن المذهب المختار في الكشف عن وجوه الإعجاز القرآني هو المذهب البلاغي بما تحمله من معان تدخل تحت مفهوم البلاغة أو النظم.

و"بهذا اكتسبت البلاغة العربية منزلة رفيعة بين العلوم الإسلامية، وارتبطت بكتاب الله العزيز، توضيحا وتفسيرا وبيانا وإعجازا ".[1]

ومع هذه المكانة الرفيعة للبلاغة، فإنها قد أصبحت دعامة أساسية للعديد من العلوم اللغوية الأخرى، وباعتبارها ركنا ركينا فقد "اتسعت سرادقات هذا العلم العربي الأصيل، ليتجاوز القرآن، وقضية الإعجاز، إلى وضع معالم ومنارات للبيان الرفيع، يهتدي بها أولئك الذين يتطلعون إلى أن يسلكوا في سلك الأدباء الصناع ...

ولم تكن الفنون البلاغية التي يقوم عليها هذا العلم إلا ثمرة بحث، وخلاصة استقراء طويل، وهداهم ذلك النظر والتأمل والتذوق إلى مواضع الإحسان، وعناصر الجمال التي يمتاز بها التعبير الفني الممتاز، فحصروا تلك المواضع، وحددوا معالم بيانية، ثم صبوها في قوالب العلم، والمعرفة المستنيرة، التي تلتقي فيها الحدود والتعريفات بالمصطلحات والتقسيمات.

وأصبحت البلاغة بذلك علما من علوم الأدب، بل لقد كانت البلاغة أول علم استقل وتميزت مباحثه من بين العلوم الأدبية أو العلوم الجمالية، ثم انقسم هذا العلم الواحد إلى ثلاثة علوم، كما هو معلوم، وتحددت معالم كل علم منها،وتميزت مباحثه، وتعددت روافده، حتى كان ذلك التراث الهائل من البحوث البلاغية التي زخرت بها المكتبة العربية.

[1] دور البلاغة العربية في دراسة النص الأدبي وتقويمه، سعيد بن طيب المطرقي، جامعة أم القرى، 1996، السعودية، ص7-8.

وقد تأثر البحث البلاغي في أثناء مسيرته الطويلة بكثير من العوامل التي أثرت في حياة هذه الأمة، وساعدت على تكوين مزاجها الفني، فقد غلب الطابع الأدبي والمزاج الذوقي ببساطته في القرون الأولى، ثم جنح إلى التأمل العميق، وقياس الأشباه والنظائر، والإفادة من النظرات الجديدة الوافدة على البيئات العربية والإسلامية في عصور الحضارة الزاهرة ".[1]

إلى أن قال: " فما أبعد الفراق بين بلاغة الأمس تذب عن القرآن، وتنبه إلى وجوه الإعجاز البياني فيه، وتحكم في الآداب، وتوجهها إلى حيث ينبغي أن تكون، وبلاغة اليوم، وهي في أحسن أحوالها عند نابتة هذا الزمان حدود تذكر، وأقسام تحصر، وشواهد تستظهر ".[2]

ومع هذا الزخم من البحث والدراسة، إلا أن البلاغة تبقى بضوابطها وقوانينها، ولها فضائل جمة، في إعطاء دفع قوي للمعاني، وللألفاظ.

ولزاما مني–بعد الخوض في غمار البلاغة –أنني إذا تحدثت عن المعاني، وجب الحديث عن الدلالة والدراسة في هذا الميدان، فقد نشطت هذه الدراسات الدلالية على نحو بارز قديما وحديثا. "وامتدت البحوث الدلالية العربية من القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية إلى سائر القرون التالية لها، وهذا التأريخ المبكر إنما يعني نضجا أحرزته العربية وأصله الدارسون في جوانبها، وغايتنا من تناول الدرس الدلالي على هذا النهج التأصيلي هي: أن تشكل الدلالة علما عربيا له شخصيته مما يساعد على إنجاز تطبيقات حديثة بوضوح ووعي لدى اللغويين ...".[3]

إلى جانب ذلك "كان البحث في دلالات الكلمات من أهم ما لفت اللغويين العرب، وأثار اهتمامهم، وتعد الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة مثل تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم، ومثل التأليف في الوجوه والنظائر في القرآن، ومثل إنتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ، وحتى ضبط المصحف بالشكل يعد في حقيقته عملا دلاليا لأن تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة، وبالتالي إلى تغيير المعنى ....

---

[1] معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط3، 1988، جدة –السعودية، ص 7–8.

[2] المرجع نفسه، ص9.

[3] علم الدلالة العربي، فايز الداية، دار الفكر، ط1، 1985، بيروت –لبنان،ص7.

وتنوعت اهتمامات اللغويين التي تمثلت فيما يأتي:

أ – محاولة ابن فارس الرائدة – في معجمه المقاييس – ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.

ب– محاولة ابن جني ربط تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد .... .

ج– البحوث الدلالية التي امتلأت بها كتب مثل: المقاييس لابن فارس – الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس –الخصائص لابن جني – المزهر للسيوطي".[1]

بالرغم من هذا فقد (امتاز الدرس اللغوي الحديث بالابتعاد عن الحدس والتخمين، والتوجه نحو الموضوعية العلمية البحتة التي لا تتأثر بالآراء الفردية ولا التصورات الجاهزة، وقد اتخذ من الملاحظة والاستقراء والاستنباط قاعدة يسير عليها، وهذا ما أكسبه الاحترام من قبل الدارسين.

والبحث اللغوي عند العرب منذ بداياته تركز على تحديد المعنى وما يحتويه القرآن الكريم من معان ومقاصد، فلقد كان هم الدراسات العربية بمختلف فروعها ومسمياتها نحوا وصرفا وبلاغة ولغة ومعاجم، " معرفة المعنى "،وكان النقاش والتوجيهات للمسائل التي دارت بين العلماء تصب في خانة المعنى وقرروا أن "كل ما صلح به المعنى فهو جيد وكل ما فسد به المعنى فمردود "، وهذا أقوى دليل على المكانة التي يحتلها علم المعنى.

وقد كان علم الدلالة جزءا ملازما لعلوم العربية لم ينفصل عنها، إلا أنه اتخذ مسارا مستقلا ومتكاملا قائما بذاته عند علماء الأصول ...

وإن علم الدلالة علم قديم وإن بدا أنه حديث، فما من أمة من الأمم إلا وبحثت في ألفاظ لغتها، محاولة تحديد المعنى الذي يحمله اللفظ عندما يكون مفردا، وبيان ما يؤول إليه المعنى عندما يوضع في تركيب، هو علم قديم باعتبار أن البحث في المعنى من حيث الوضوح والغموض والصحة

[1]علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط5 ،1988، القاهرة –مصر، ص20 –21.

وعدمها والاحتمال والفساد، وما تتعرض له دلالة الألفاظ من تحول في المعنى إلى معنى آخر وأسباب هذا التحول ومظاهر مشاهد وملاحظ في أقدم ما وصل إلينا من تراث الأمم.

والعلماء العرب جاءت مباحث الدلالة عندهم موزعة في مختلف علومها وتراثها، حيث كان المعنى هو الوجهة والأساس الذي إليه يقصدون وبه كانوا معنيين، لذا لا نعدم أن نرى أسسا وأصولا تشبه وتضارع ما توصل إليه علم الدلالة بمفهومه الحديث، تنثر هنا وهناك في التراث العربي ...).[1]

والذي يلاحظ أن الكثير من الباحثين، بينوا ما للبلاغة والدلالة من أثر في تغير المعنى، وهو ما سيطرح في الفصول الآتية بدءا بالبلاغة والعناية بها في أن يكون المعنى هو قطب رحى النشأة والبحث والدراسة.

[1]علم الدلالة عند العرب، عليان بن محمد الحازمي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج15، ع27، 2002، السعودية، ص706.

الفصل الأول : أثر البلاغة في المعنى

توطئـــــة :

جعل الله لغة العرب طريقا إلى تدبر القرآن الكريم وفهمه، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف :3)، أي من سلك هذا السبيل بلغ من كتاب الله عز وجل مبلغا عظيما، ومن أعرض عنه أضاع سبيل الرشاد.

وقد كثرت العلوم وحامت حول مكامن هذا الوحي الشريف، وهو ما لمسناه في علم البلاغة (كعلم قائم بذاته)، الذي اهتم بمعنى المادة في الكلمة المفردة، وبمعنى صيغتها، وبالمعاني التي تنشأ من حركات تركيب الكلمات ومواقع الكلمات في الجمل، وبالمعاني التي تتأثر دلالة ألفاظها بالسياق، وبكيفية دلالتها من حقيقة ومجاز وكناية وتعريض وتنظيم للكلام على ما يقتضيه العقل، وبأثر أصوات الحروف في نفس السامع.

وفي الجملة فعلم البلاغة يهتم بكل ما يُبْلِغ به المتكلم قلب السامع بالمعنى المراد إقناعاً وتأثراً بحيث يوافق ما يقتضيه حال المخاطب، ولذلك عرف بأنه (مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال) والمراد أن حال الشخص الذي تخاطبه يتطلب أن يصاغ له الكلام صياغة تناسبه، وتبلغ المعنى إلى قلبه فإذا جاء المتكلم بما يطابق هذا المطلوب كان كلامه بليغاً.

وهذه التوطئة مدعاة إلى معرفة ماهية البلاغة لغة واصطلاحا وأهميتها.

تعريف البلاغة وأهميتها:

(إن الحديث عن البلاغة العربية، هو حديث عن الحياة العربية، ومناط الوجه العقلي للعرب، ثم للإسلام بعد ذلك، ولهذا فإن البلاغة العربية في صورتها الأولى، وجه من وجوه الثقافة التي تترجم عن أمة معروفة بين الناس، غير منقورة بجهدها، وفضلها).[1]

[1] البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي، دار البشير، ط 1، 1992، عمان –الأردن، ص 15.

ومنه كان ولا بد أن أشير إلى ماهية البلاغة في اللغة والاصطلاح.

البلاغــة في اللغــة:

يكاد يجمع كل البلاغيين على تعريف لغوي واحد متقارب ومتشابه للبلاغة، وهو ما سأعرضه في هذه التعريفات.

(بلغ: بلغ الشيء بلوغا وبلاغا وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغا وبلغه تبليغا ... وتبلغ بالشيء وصل إلى مراده، وبلغ مبلغ فلان ومبلغته، وفي حديث الاستسقاء قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينِ البَلاَغ﴾، أي ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب، والبلاغ ما بلغك والبلاغ الكفاية... وتقول له في هذا بلاغ وبُلْغة وتَبَلُّغٌ أي كفاية، والإبلاغ الإيصال، وكذلك التبليغ والاسم منه البلاغ). [1]

فأصل مادة الكلمة في اللغة تدور حول وصول الشيء إلى غايته ونهايته، أو إيصال الشيء إلى غايته ونهايته.

(تقول لغة: بلغ الشيء يبلغ بلوغا وإبلاغا، إذا وصل وانتهى إلى غايته.

وتقول: أبلغت الشيء إبلاغا وبلاغا، وبلغته تبليغا، إذا وصل وانتهى إلى غايته ونهايته.).[2]

(ب ل غ: بلغ المكان وصل إليه، وكذا إذا شارف عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ (الطلاق: 2). أي قاربنه، وبلغ الغلام أدرك، وبابهما دخل، والإبلاغ والتبليغ الإيصال، والاسم منه البلاغ، والبلاغ أيضا الكفاية، وشيء بالغ أي جيد، والبلاغة الفصاحة، وبلغ الرجل صار بليغا وبابه ظرف، والبلاغات كالوشايات، والبلغين الداهية، وبالغ في الأمر إذا لم يقصر فيه، والبلغة ما يتبلغ به من العيش، وتبلغ بكذا أي اكتفى). [3]

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، ت: إبراهيم اليازجي، دار صادر، ط 3، 1993، بيروت –لبنان، مادة بلغ.

[2] البلاغة العربية أسسها وعلومها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ج1، ط1، 1996، دار القلم، دمشق، ص 128.

[3] مختار الصحاح، زين الدين الرازي، ت: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، ط5، 1999، صيدا، باب الباء.

وذكر الدكتور بدوي طبانة ما نصه:

(قال أبو هلال العسكري: (البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري، ومبلغ الشيء: منتهاه ، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته، فسميت البلاغة بلاغة، لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه ، ويقال: بلُغ الرجل بلاغة: إذا صار بليغا... ويقال أبلغت في الكلام إذا أتيت بالبلاغة فيه... قال: والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم، فلهذا لا يجوز أن يسمى الله عزَّ وجلَّ بأنه بليغ، إذ لا يجوز أن يوصف بصفة كان موضوعها الكلام، وتسميتنا المتكلم بأنه بليغ توسع وحقيقته أن كلامه بليغ ،كما تقول: فلان رجل محكم، وتعني أن أفعاله محكمة .

قال الله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُر﴾ (القمر: 5) فجعل البلاغة من صفة الحكيم، إلا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة ...).[1]

ومما جاء في كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز تعريف البلاغة قوله: (اعلم أن البلاغة في وضع اللغة، هو الوصول إلى الشيء والانتهاء إليه، فيقال بلغت البلد أبلغه بلوغا، والاسم منه البلاغة، وسمي الكلام بليغا، لأنه قد بلغ به جميع المحاسن كلها في ألفاظه ومعانيه).[2]

بعد ذكر التعريف اللغوي للبلاغة، وددت أن أعرج منه إلى الحديث عن التعريف الاصطلاحي.

البلاغة اصطلاحا:

في مصطلح النظار من علماء البيان: (عبارة عن حسن السبك مع جودة المعاني، والمقصود من البلاغة هو: وصول الإنسان بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخل بالمعاني، وعن الإطالة المملَّة للخواطر).[3]

وقدم عبد الرحمن حبنكة الميداني تعريفا اصطلاحيا وهو:

---

[1] معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، ص 75.

[2] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحي بن حمزة العلوي، ج 1، مطبعة المقتطف، ط2، 1914، مصر، ص 122.

[3] المصدر نفسه، ص 122.

(البلاغة: هي مطابقة الكلام لمقتضى حال من يخاطب به من فصاحة مفرداته وجمله).[1]

وفي تعريف آخر: (أن يكون الكلام فصيحا قويا فنيا، يترك في النفس أثرا خلابا، ويناسب الشخص والحال والزمان).[2]

وللسيد أحمد الهاشمي حد آخر للبلاغة في الاصطلاح قوله:

(تقع في الاصطلاح وصفا للكلام، والمتكلم فقط دون الكلمة لعدم السماع.

والبلاغة في الكلام: مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب، مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها.

أما بلاغة المتكلم هي: ملكة في النفس يقتدر بها صاحبها على تأليف بليغ مطابق لمقتضى الحال، مع فصاحته في أي معنى قصده.

وأضاف قائلا: البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحا، بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون). [3]

أما الطاهر ابن عاشور فله تعريف آخر للبلاغة حيث قال: (وإنما سُمِّيَ هذا العلم بالبلاغة، لأنه بمسائله، وبمعرفتها يبلغ المتكلم إلى الإفصاح عن جميع مراده بكلام سهل وواضح ومشتمل على ما يعين على قبول السامع له ونفوذه في نفسه).[4]

أهميـــــة البلاغـــة:

يسعى العديد من القراء أو الكتاب –رغم تفاوتهم– إلى حيازة مفاتيح البلاغة أو أحدها سعيا حثيثا، ومتى امتلكوها، حاولوا التعرف على باب من أبواب البيان ليصلوا منه إلى المعنى الخفي وراء

---

[1] البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حبنكة، ص 129.

[2] تسهيل البلاغة، فيصل بن عبده قائد الحاشدي، دار الإيمان، ط 1، 2006، الإسكندرية، مصر، ص 7.

[3] جواهر البلاغة، السيد الهاشمي، ت: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، ط1، 1999، صيدا – لبنان، ص 40.

[4] موجز البلاغة، الطاهر بن عاشور، المطبعة التونسية، ط1، 1932، تونس، ص 3.

كل دلالة مبهمة، حيث أنه كلما امتلك الإنسان شيئا من البلاغة، حلت عجمة الكلام لديه وتقوى عنده البيان.

قال أبوهلال العسكري (ت 395 هـ) :(اعلم علمك الله الخير، ودلَّك عليه، وقيَّضه لك، وجعلك من أهله أنَّ أحقَّ العلوم بالتَّعلُّم، وأولاها بالتَّحفُّظ -بعد المعرفة بالله جل ثناؤه-علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحقّ، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة، التي رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشك بيقينها.

وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأَخَلَّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وضمنه من الحلاوة، وجلله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيَّرت عقولهم فيها، وإنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه، وقصورهم عن بلوغ غايته، في حسنه وبراعته، وسلاسته ونصاعته، وكمال معانيه، وصفاء ألفاظه. وقبيح لعمري بالفقيه المؤتم به، والقارئ المهتدي بهديه والمتكلم المشار إليه في حسن مناظرته، وتمام آلته في مجادلته فينبغي من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيده على ما ذكرناه، إذا كانت المعرفة بصحة النبوة تتلو المعرفة بالله جل اسمه) .[1]

وقال الجاحظ: (... فأما أنا فلم أر قط طريقة أمثل في البلاغة من الكتَّاب، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا، ولا ساقطا سوقيا).[2]

ويضيف ابن جني قائلا: (إن أكثر من ضَلَّ من أهل الشريعة عن القصد فيها وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه واستخف حلمه، ضعفه في هذه اللغة الكريمة التي خوطب الكافة بها).[3]

وعموما فإنَّ البلاغة هي: (مرتقى علوم اللغة وأشرفها، والمرتبة الدنيا من الكلام هي التي تبدأ

---

[1] الصناعتين، أبو هلال العسكري، ت: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط 2، 1984، بيروت، ص 2.

[2] البيان والتبيين، الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط 7، 1999، القاهرة، ج 1، ص 137.

[3] الخصائص، ابن جني، ت: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، ط 4، 1955، بيروت-لبنان ج 3، ص45.

بألفاظ تدل على معانيها المحددة، ثم تتدرج حتى تصل إلى الكلمة الفصيحة والعبارة البليغة. وقد قيل: إذا تكلم المرء بلغة ما فهو يحدد هويته الحضارية والإنسانية، وإذا امتلك لغته، حدد مركزه في المجتمع، فاللغة وإن كانت وسيلة للتعبير عن الفكر، فهي تمثل الفكر كله، ولا عجب بعد ذلك إذا تحققت أسباب التطور والرقي نتيجة العناية بها). [1]

وبهذا تكون: (البلاغة وسيلة وغاية في آن معا، وذلك إذا وقفت عن الكشف عن جماليات فن القول العربي، ولا يعني هذا الفصل بين الوسيلة والغاية، بل توضيح إلى رأي من أراد أن يجعل البيان العربي في إطار فن القول العربي، وتفسير لمن حرص على أن يكون الدرس البياني لخدمة القرآن الكريم، ولكل حجج ودلائل وأسرار، ومناهج، وغاية ونهاية). [2]

*فــروع علــم البلاغــة:

أولا: علم المعاني

تعريف علم المعاني:

(يقول السكاكي في تعريف هذا العلم: هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره.

وعرَّفه الخطيب القزويني بالقول: هو علم تُعرف بها أحوال اللفظ العربي التي يطابق مقتضى الحال، وليس ثمة تباين بين التعريفين فيما يبدو لنا، وفي مقدورنا تبسيط التعبير عن دلالتهما المشتركة بالقول صياغة، إن علم المعاني هو العلم الذي يعرفنا صياغة العبارة صياغة تناسب تماما المقام الذي تقال فيه، وتعبر تعبيرا دقيقا عن القصد الذي نبتغيه، ذلك أن مهارة الأديب، ونبوغ الشاعر وعبقرية اللغة، كل هذا يكمن فيما بين الكلم من ترابط وصلات، فحِذق الأديب الشاعر يظهر مقدرته الفائقة

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ت: على بوملحم، دار هلال، ط 2 ،1991، بيروت – لبنان، ص 3.

[2] البلاغة في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي، ص 6.

على صياغة كلم اللغة صياغة بصيرة واهية، تصف كل خاطرة من خواطر نفسه، وتفصح عن كل فكرة تومض كيانه، أو شعور يختلج في مطاويه، وعبقرية اللغة تكمن في مرونتها، وطواعيتها وإفادتها دقيق المعاني، بوجوه وفنون الصياغة ، فتصف بهيئة الكلمة وتشير بخصوصية التركيب). [1]

ثانيا: علم البيان :

البيان كما هو معلوم نعمة امتن الله بها على عباده حيث قال جل وعلا: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن:1-4)، فهو بهذا التعليم تميز عن كثير من الخلق، وصار ناطقًا مبينًا يستطيع أن يعبِّر عما يجول بخاطره من المعاني، وأن يوصلها إلى غيره من البشر، ويتلقاها الغير عنه، فيتم التفاهم، والتقارب بين بني البشر.

البيان لغـــة:

(الظهور، والوضوح، والإفصاح، يقال: بان الشيء بيانًا أي: اتضح، وأبنته أوضحته، واستبان الشيء أي: ظهر، وبان الصبح لذي عينين أي: ظهر ووضح.

والبيان الفصاحة، والإفصاح مع ذكاء، والبيِّن من الرجال السمح اللسان، الفصيح الظريف، العالي الكلام، ففي الحديث الشريف: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكَمًا ﴾

قال ابن عباس: "البيان إظهار المقصود بأبل لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن، وأصله الكشف والظهور".) . [2]

وذكـر أبو الفرج الجوزي (ت597) في تفسيره زاد المسير في علم التفسير، (شرح الآية من قوله تعالى: هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ، (آل عمران: 138).

والبيان كذلك: الكشف عن الشيء، بان الشيء: اتضح، وفلانٌ أبين من فلان، أي: أفصح. قال الشعبي: هذا بيان للناس من العمى، وهدىً من الضلالة، وموعظة من الجهل). [3]

---

[1] الكافي في علوم البلاغة، عيسى الكالوب، سعد الشتيوي، دار الكتب الوطنية، ط1، 1993، بنغازي -ليبيا، ص 53.

[2] لسان العرب، ابن منظور، مادة بين.

[3] زاد المسير، أبو الفرج الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط1، 2001، بيروت – لبنان، ص 328.

البيان في الاصطلاح:

عرف القزويني البيان فقال:

(هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، ودلالة اللفظ إما على تمام ما وضع له، أو على جزئه، أو على خارج عنه.

وعلق عليه الدكتور عبد الرحمن البرقوقي قائلا:

"البيان علم يعرف به إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة وتراكيب متفاوتة بالزيادة والنقصان في وضوح الدلالة عليه ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه، ثم مما يكاد يكون معروفا أن إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة غير ممكن بالدلالة اللغوية").[1]

والبيان كذلك: (إظهار المتكلم المراد للسامع، والبيان: النطق الفصيح المعرب عما في الضمير، وإظهار المعنى وإيضاح ما كان مستورا قبله). [2]

وهناك تعريف آخر وهو: (العلم الذي به يُعرف إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، وبهذا هو يتميز عن علم المعاني الذي يُعرف به أحول اللفظ العربي، التي بها يطابق مقتضى الحال، كما يتميز عن علم البديع الذي يبحث في وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة، ووضوح الدلالة، ورأى عبد القاهر أنه من مقتضيات النظم، فهو به يكون وعنه يحدث، ومحصلة كل ذلك أن البيان بمعناه اللغوي، أو المعنى العام، أو الأدبي يعني: التعبير عما يدور في الذهن، وتحسن به النفس بأسلوب فني رائع، أو هو المميزات التي يتفاضل بها الأدباء والشعراء، ويظهر بها فضل كلام على كلام).[3]

ويقول التفتازاني في معنى التعريف السابق:

(أن علم البيان ملكة، أو أصول يقتدر بها على إيراد كل معنى واحد، يدخل في قصد المتكلم، وإرادته بتراكيب يكون بعضها أوضح دلالة عليه من بعض).[4]

---

[1] التلخيص في علوم البلاغة، القزويني، ت: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط2، 1932، مصر، ص 235.

[2] التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، ط1، 1983، بيروت – لبنان، ص 26.

[3] مجلة البيان والبديع، تأليف مناهج جامعة المدينة، نشر جامعة المدينة العالمية، ط1، 1993، المدينة المنورة، ص 21.

[4] المطول، سعد الدين التفتازاني، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2001، لبنان، ص 506.

وقد ذكر أيضا في أبجد العلوم تعريف علم البيان وموضوعه وغرضه وغايته ومبادئه فقال:

(علم البيان: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة على المقصود، بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض، وموضوعه اللفظ العربي من حيث وضوح الدلالة على المعنى المراد، وغرضه تحصيل ملكة الإفادة بالدلالة العقلية وفهم مدلولاتها ليختار الأوضح منها مع فصاحة المفردات، وغاية الاحتراز من الخطأ في تعيين المعنى المراد بالدلالة، ومبادئه بعضها عقلية كأقسام الدلالات والتشبيهات والعلاقات المجازية ومراتب الكنايات، وبعضها وجدانية ذاتية كوجوه التشبيهات وأقسام الاستعارات، وكيفية حسنها ولطفها).[1]

ثالثا: علم البديع

تعريف علم البديع:

علم البديع علم ذو مكانة مرموقة في الكلام العربي، وذلك لعدم التكلف فيه، وهو الرابط بين علمي المعاني والبيان، ليضفي على الكلام سلاسة وجمالا لا مثيل له.

وقد وضح العلوي مكانة البديع، فقال: (اعلم أن هذا الفن من التصرف في الكلام مختص بأنواع التراكيب، ولا يكون واقعا في المفردات، وهو خلاصة علمي المعاني والبيان ومُصَاصِ سُكَّرِهما ... وعلم البديع هو تابع للفصاحة والبلاغة، فإذن هو من صفو الصفو وخلاص الخلاص).[2]

البديع لغـة:

(من بدع الشيء يَبْدَعُه بَدعا، وابتدعه أنشأه وبدأه، والبديع المحدث العجيب، والبديع والبِدْع الشيء الذي يكون أولا، والبديع المبْدِعُ، وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال، والبَديع من أسماء الله تعالى، لإبداعه الأشياء وإحداثه إيّاها، وهو البديع الأول قبل كل شيء).[1]

---

[1] أبجد العلوم، صديق حسن القنوجي، دار ابن حزم، ط1، 2002، دمشق – سوريا، ج2، ص 170.

[2] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحي بن حمزة العلوي، ص 599-560.

البديع اصطلاحا:

(هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقا بعد مطابقته الحال، ووضوح دلالته على المراد، ووجوه التحسين أساليب وطرق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميقه).[2]

وهذا التعريف هو مضمون جميع من ذكره من العلماء، ومنهم القزويني، فقال: (وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة).[3]

وهذه الالتفاتة إلى ما عناه القزويني من مقتضى الحال ووضوح الدلالة (تعني في شقها الأول علم المعاني، وفي شقها الثاني علم البيان، لأن وجوه تحسين الكلام لا تجيء قبلهما ولا دونهما، وتتزين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعية من الجمال اللفظي أو المعنوي، فوجوه تحسين الكلام منه ما يرجع إلى المعنى ومنه ما يرجع إلى اللفظ). [4]

فقال السكاكي وهو يشير أيضا إلى قصد تحسين الكلام:

(وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلّة التزيين، ويريقه أعلى درجات التحسين، فها هنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير على الأعرف منها، وهي قسمان: قسم يرجع على المعنى، وقسم يرجع على اللفظ). [5]

المباحث التي يتكون منها علم البيان:

يتكون علم البيان من مباحث أهمها: التشبيه، الحقيقة والمجاز، الاستعارة، الكناية.

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، مـادة بدع.

[2] جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص 286.

[3] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص 348.

[4] علوم البلاغة العربية، محمد أحمد ربيع، دار الفكر، ط 1، 1991، عمان – الأردن، ص 159.

[5] مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، 1987، بيروت – لبنان، ص 423.

أ- التشبيه: (هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى من المعاني بإحدى أدوات التشبيه الملفوظة أو المقدرة).[1]

وله أركان أربعة وهي: المشبه والمشبه به ووجه الشبه وأداة الشبه.

ب- الحقيقة والمجاز: فالحقيقة هي: (الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب، فقولنا: المستعملة احتراز عما لم يستعمل، فإن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى حقيقة. والمجاز ما أفاد معنى غير مصطلح عليه في الموضع الذي وقع فيه التخاطب لعلاقة بين الأول والثاني).[2]

ت-الاستعارة: وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له.

ث-الكناية: (لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ، كقولك: فلان طويل النجاد. أي: طويل القامة. و(فلانة نؤوم الضحى) أي: مُرفَّهة مخدومة).[3]

التقديم والتأخير:

(التقديم والتأخير من أكثر المباحث البلاغية، التي نالت اهتمام علماء المعاني، ذلك الاهتمام الذي تجلى في رصدهم لصور التقديم والتأخير المتعددة، وما تؤديه كل صورة من قيمة دلالية، أو تأثيرية، مضافة إلى المعنى الأساسي للعبارة.

وعند البحث عن معنى التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح، يلاحظ أن مادة قدم تؤدي معاني مختلفة ذكرتها المعاجم العربية.

فالفراهيدي (ت 175 هـ) في معجم العين يذكر:

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص 164.

[2] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحي بن حمزة العلوي، ج1ص 63.

[3] المصدر نفسه، ص: 212.

القُدمة، والقَدم أي: السابقة في الأمر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِم﴾ (يونس:2)، أي: سبق لهم عند الله خير. وقدم فلان قومه أي: يكون أمامهم، والقدم: المضي، أي: يمضي قدما ولا ينثني).[1]

قال الزمخشري (ت 528هـ) في أساس البلاغة:

(وأقدم بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة، والإقدام في الحرب قال عنترة:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك يا عنترة أقدم

ويقال: مضى قدما وتأخر آخرا، وجاء في أخريات الناس، وفلان يتقدم بين يدي أبيه إذا تقدم في الشرف والمكارم، ومعالي الأمور).[2]

وقال ابن منظور (ت711هـ) :(القدم والقدمة: السابقة في الأمر، وتقدم كقدم.

وقدم واستقدم: تقدم. وأخرته فتأخر، واستأخر كتأخر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُم وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ (الحجر: 24).) .[3]

وقال الفيروز آبادي (ت817هـ) :(أقدم على الأمر شجع، وأقدمته وقدمته، وتأخَّر وأخَّر تأخيرا، استأخر).[4]

فالتقديم والتأخير في اللغة متناقضان، حيث (يعنى الأول بوضع الشيء أمام غيره، وقد كان خلفه، ويعنى الثاني بوضع الشيء خلف غيره وقد كان أمامه، وبالمعنى نفسه انتقل هذا العنصر من الوضع اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية، إذ اعتاد العرب قديما تقديم ما حقه التأخير لفضل دلالة

---

(1) معجم العين، الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2000، بيروت، ج 5، ص 122.

(2) أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط1، 1998، بيروت، ص59.

(3) لسان العرب، ابن منظور، مادة قدم ومادة أخر.

(4) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ت: نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005، بيروت، ص 1147.

وتمام معنى وتأخير ماحقه التقديم للغرض ذاته، وذلك بجعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية، أو بعدها لعارض اختصاص، أو أهمية، أو ضرورة).[1]

قال سيبويه (ت180هـ) :(والظاهر أنهم يقدمون الشيء الذي من شأنه أهم، وهم به أعنى، وإن كانا جميعا مهمين).[2]

أهمية التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير سمة أسلوبية لها عظيم الأثر في روعة الأسلوب وبلاغته، ومن أهم مباحث علم المعاني، الذي يبحث في بناء الجمل، وصياغة العبارات، ويتأمل التراكيب، لكي يبرز ما يمكن وراءها من أسرار ومزايا بلاغية.

وينقل لنا السيوطي (ت911هـ): (أن السلف –رضوان الله عليهم– قد أشكل عليهم معنى بعض الآيات، فلما عرفوا أنها من باب التقديم والتأخير اتضح مدلولها). [3]

وأهمية التقديم والتأخير في كلام العرب تتضح فيما يلي:

- أنه (سمة بارزة في الكلام، تشهد للعرب بتمكنهم في الفصاحة، وامتلاكهم ناصية الكلام، وتصرفهم فيه على حكم ما يختارونه، وانقياده لهم لقوة ملكتهم فيه، وفي معانيه، ثقة بصفاء أذهانهم، فهو علامة من علامات سمو التفكير عند العرب). [4]
- أنه كما قال عبد القاهر الجرجاني: (باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويُفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف

---

[1] الإكسير في علم التفسير، البغدادي، ت: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ط1، 2002، مصر، ص189.

[2] الكتاب، سيبويه، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط 2، 1977، القاهرة، مصر، ج 1، ص 233.

[3] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ت: أبو الفضل إبراهيم، دار البابي الحلبي، ط 3، 1951، مصر، ص 217.

[4] الفوائد المشوق، ابن القيم الجوزية، ت: محمد النعساني، مطبعة السعادة، ط1، 1910، مصر، ص 82.

لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان ...) .[1]

- فضلا على أنه (يدلك على عظم شأن النظم وتعلم به كيف يكون الإيجاز وما صورته، وكيف يُزداد في المعنى من غير أن يُزاد في اللفظ، إذ قد ترى أن ليس إلا تقديم وتأخير، وأنه قد حصل بذلك من زيادة المعنى، ما إن حاولته مع تركه لم يحصل لك).[2]

الفصل والوصل:

يعد عنصر الفصل والوصل من أهم المدلولات البلاغية، وقد وجد في علوم عدة، كعلم الخط العربي، والنحو، والقراءات وغيرها، وبذلك تختلف المسميات ولكنها في النهاية لها مصب واحد في التعريفات، وهي:

الفصـل لغة:

جاء في لسان العرب: الفصل بون ما بين الشيئين، الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل، وفصلت الشيء أي قطعته، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ (الطارق: 13). أي: فاصل قاطع. [3]

الوصل لغــة:

ذكر صاحب اللسان قوله: (باب وصل وصلت الشيء وصلا، وصِلة والوصل ضد الهجران. واتصل الشيء بالشئم ينقطع، ووصل الشيء إلى الشيء وصولا، وتوصَّل إليه انتهى إليه وبلغه).[4]

---

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط 2، 1989، القاهرة، ص 106.

[2] المصدر نفسه، ص 388.

[3] لسان العرب، مادة فصل.

[4] المصدر نفسه، مادة وصل.

أمَّا الجوهري فقال:(وصلت الشيء وَصْلاً وصِلَةً، ووصل إليه وصولا، أي بلغ، ووصل بمعنى اتصل، قال تعالى :﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ (النساء :90)، أي يتصلون، والوصل ضد الهجران، والتواصل ضد التصارم، ووصَّله توصيلا، إذا أكثر من الوصل).[1]

اصطلاحا:

نكتفي في التعريف الاصطلاحي بما ذكره صاحب كتاب الكافي في علوم البلاغة:

(**الوصل اصطلاحا:** عطف جملة فأكثر على جملة أخرى بالواو خاصة، لصلة بينهما في المبنى والمعنى، أو دفعا للبس يمكن أن يحصل.

الفصل اصطلاحا: ترك هذا العطف، إما لأن الجملتين متحدتان مبنى ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، وإما لأنه لا صلة بينهما في المبنى أو في المعنى.

ومثال الوصل قوله سبحانه: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر:32). وليس من البلاغة ترك العطف بالواو في الجملتين الأخيرتين.
ومثال الفصل قوله سبحانه:﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة :14-15). لم تعطف جملة "(اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) على جملة " (إِنَّا مَعَكُمْ) لأنها ليست من مقولهم).[2]

---

[1] الصحاح، الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، ط 4، 1987، بيروت، ج 5، ص 1842.

[2] الكافي في علوم البلاغة العاكوب، علي سعد الشتيوي، ص 298.

مواضع الفصل والوصل: [1]

أولا: مواضع الفصل

- إذا كانت الجملة الثانية عين الأولى:

أ- توكيدا للأولى: كقوله تعالى :﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق:17). فالمانع من العطف اتحاد الجملتين اتحادا تاما يمنع عطف الشيء على نفسه.

ب- بيانا لها: كقوله تعالى :﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ (طه:120).

ت- بدلا منها: كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وبَنِينَ﴾ (الشعراء: 132-133).

فالجمل السابقة يقال لها بينهن كمال اتصال.

- إذا كانت الجملة الثانية جوابا عن سؤال ناشئ من الأولى:

كقوله تعالى :﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف:53)، فالجملة الثانية شديدة الارتباط بالأولى لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فالمانع من العطف في هذه المواضع وجود الرابطة القوية بين الجملتين فأشبهت، فبين الجمل شبه اتصال.

ثانيا: مواضع الوصل.[2]

هي أربعة مواضع:

---

[1] تسهيل البلاغة، فيصل قائد الحاشدي، ص 68.

[2] تسهيل البلاغة، فيصل قائد الحاشدي، ص 69.

1- إذا اتفقت الجملتان واشتركتا في الحكم الإعرابي: كقوله تعالى:﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة :222).

2- إذا اتفقتا خبرا وإنشاءً، مع المناسبة التامة ولا مقتضى للفصل، كقوله تعالى: ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ (الشورى :15).

3- إذا اختلفتا خبرا وإنشاءً، وكان الفصل موهما: مثل: لا وشفاه الله، فترك الواو يوهم السامع الدعاء عليه، وهذا خلاف المقصود، لأن الغرض الدعاء له.

4- إذا كانت الجملة الثانية لا تنسجم مع الأولى:

أ -لعدم العلاقة نحو: الكتاب في المكتبة.

ب -أو لاختلافهما خبرا وإنشاءً كقوله تعالى:﴿لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾، (القصص: 76).

التعريف والتنكير:

(اهتم القدماء من النحاة العرب بالعرض للقضايا اللغوية المتصلة بالنكرة والمعرفة، ومن أشهرها ما يسمى بـ (الأصل والفرع) وانتهوا إلى أن النكرة أصل والمعرفة فرع، واهتم علماء البلاغة بهما في ضوء النظر في الأداء اللغوي مع الربط بالجمال داخل النص نفسه، لأن التعبير بالنكرة قد يكون أبلغ من التعبير بالمعرفة وربما العكس).[1]

التعريف لغـــة:

((عرف) العرفان: العلم، عرفه يعرفه عِرفة وعِرْفانا وعِرِفَّانًا ومعرفة واعترفه.

رجل عروف وعروفة: عارف يعرف الأمور ولا ينكر أحدا رآه مرة وعرَّفه به وَسَمه، والتعريف هو الإعلام). [2]

---

[1] علم الجمال اللغوي، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ط 1، 1995، القاهرة، ص 366.

[2] لسان العرب، ابن منظور، مادة عرف.

التعريف اصطلاحـــا:

عرفه الشريف الجرجاني:(التعريف عبارة عن ذكر الشيء يستلزم معرفته معرفة شيء آخر).[1]

وفي تعريف آخر: (هو اسم يدل على شيء واحد بعينه، لأنه متميز بأوصاف وعلامات لا يشاركه فيها فرد من نوعه).[2]

فالتعريف إذن: هو التمييز، الإفراد، التخصيص بعد التعميم، وهو أن يكون شيئا ما محددا بين المتكلم والسامع، فيدور حوله الكلام، هذا يتحدث عنه، وذاك يفكر فيه، وهو نفسه يفرض نفسه على المتكلم والمخاطب.

وقد وضح الجرجاني فائدة بقوله:

(فائدة تعريفه إجمالا: أن المعرفة أخص من النكرة، وكلما كانت أخص، كانت أتم دلالة على المراد لكونه أقل احتمالا لغير المراد من النكرة).[3]

ومنه فسر أحمد مطلوب ذلك، فقال: (ويدخل التعريف على المسند إليه، لأن الأصل فيه أن يكون معرفة لأنه المحكوم عليه، والحكم على مجهول لا يفيد، ولذلك فإنه يعرف لتكون الفائدة أتم، لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام أقوى، ومتى كان أقرب كانت أضعف).[4]

(وأدوات التعريف كثيرة، وهي: الضمير، والعلمية، والموصلية، والإشارة، والتعريف بأل، والتعريف بالإضافة.

---

[1] التعريفات، الشريف الجرجاني، ص 64.

[2] النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط 3، 1974، مصر، ج 1، ص 291.

[3] الإشارات والتنبيهات، على الجرجاني، ت: عبد القادر حسين، دار النهضة، ط 2، 1982، مصر، ص 36.

[4] معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ط1، 1986، بغداد، ج2، ص282.

والمعارف هي: الضمير والعلم، واسم الإشارة والمعرف بأل، والاسم الموصول، والمضاف إلى معرفة، والمعرف بالنداء، وقد ذكرها كلها سيبويه).[1]

وقد وردت (أسماء معارف من غير هذه الأبواب، منها (أمس) لليوم الذي قبل يومك ... و(أجمع) وما تفرع منها نحو (أجمعين وجُمع) كقوله تعالى:﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الحجر: 30)، وأسماء الصفات نحو: إيهٍ، وصه). [2]

النكـــــرة:

لغـــة:

عرف ابن منظور النكرة فقال: (والنكرة إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة. والنكرة: خلاف المعرفة. ونكر الأمر نكيرا وأنكره إنكارا ونكرا: جهله، عن كراع قال ابن سيده: والصحيح أن الإنكار المصدر والنكر الاسم. ويقال: أنكرت الشيء، وأنا أنكره إنكارا ونكرته مثله.
وفي التنزيل العزيز: ﴿ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ (هود :70)). [3]

اصطلاحا:

النكرة ما دل على شيء لا بعينه. [4]

قال التفتازاني: (التنكير أي تنكير المسند إليه، للقصد إلى فرد غير معين، مما يصدق عليه اسم جنس نحو قوله تعالى: ﴿وجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ (يس: 20)، أو النوعية أي القصد إلى نوع منه نحو: ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِم غِشَاوَةٌ ﴾ (البقرة :7) أي من الأغطية غير ما يعرفه الناس، وهو غطاء التعالي عن آيات الله).[5]

---

[1] الكتاب، سيبويه، ج 1، ص 2019.

[2] معاني النحو، فاضل السامرائي، شركة العاتق لصناعة الكتب، ط 2، 2003، القاهرة –مصر، ج 1، ص 38.

[3] لسان العرب، ابن منظور، مادة نكر.

[4] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ج 2، ص 282.

[5] المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، ص 234.

ويؤتى بالمسند إليه نكرة لعدم علم المتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقة أو ادعاءً، كقولك: جاء هنا رجل يسأل عنك، إذا لم تعرف ما يعنيه من علم أو صلة أو نحوها، وينكر المسند لعدم الموجب لتعريفه، وذلك لقصد إرادة العهد أو الحصر، ولاتباع المسند إليه في التنكير، ولإفادة التفخيم ولقصد التحقير. [1]

(فإذا كانت النكرة في حيز النفي، أو شبهه، كانت دلالتها على العموم أرجح، وذلك نحو قولك: (ما جاءني رجل) فالراجح أنك تريد: لم يجئك أحد من هذا الجنس، وربما دل بوجه مرجوح على أن المعنى لم يجئك رجل واحد بل أكثر. فإن قلت: (ما جاءني رجل بل رجال) دل ذلك على إرادة نفي الواحد نصا).[2]

وجاء في الطراز للعلوي: (النكرة إذا أطلقت في نحو قولك: رجل وفرس وأسد ففيها دلالة على أمرين: الوحدة والجنسية، فالقصد يكون متعلقا بأحدهما، ويجيء الآخر من جهة التبعية. فأنت إذا قلت: أرجل في الدار أم امرأة؟ حصل بيان الجنسية، والوحدة جاءت تابعة غير مقصودة، وإذا قلت أرجل عندك أم رجلان؟ فالغرض هاهنا الوحدة دون الجنسية).[3]

وقال سيبويه: (يقول الرجل: أتاني رجل، يريد واحدا في العدد، لا اثنين فيقال: ما أتاك رجل، أي: أتاك أكثر من ذلك، أو يقول: أتاني رجل لا امرأة، فيقال: ما أتاك رجل، أي: امرأة أتتك).[4]

أما الأغراض التي تستفاد من التنكير (فإنما تستفاد من السياق لا من التنكير، وحده السياق الذي هو الذي يدل على المراد من هذا التنكير، فهو الذي يرشد إلى الأغراض الكثيرة حين التأمل فيه وآلية الاستفادة منه).[5]

---

[1] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ص 149.

[2] معاني النحو، فاضل السامرائي، ص 36.

[3] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحي بن حمزة العلوي، ج 2، ص 12.

[4] الكتاب، سيبويه، ص 27.

[5] البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط 3، 1992، عمان – الأردن، ص 342.

وللنكرة درجات ومراتب حسب الغرض الذي سيقت لأجله، يقول أحمد مطلوب: (وتتفاوت النكرات أيضا في مراتب التنكير، وكلما ازدادت النكرة عموما زادت إيهاما في الوضع).[1]

أما عن أدوات التنكير فقد ذكرها العلماء، بأنها لا أداة للتنكير سوى أن يخلى اللفظ من أدوات التعريف، والأصل في الكلمة التنكير، لأنه مطلق، فيأتي التعريف لحصره في العلمية.

الإظهار والإضمار

تعريف الإظهار:

لغـــة:

تدور مادة الإظهار لغة حول البيان والبروز وما قابل الإخفاء والإضمار، قال ابن فارس: (الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد، يدل على قوة وبروز، من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهورا فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز، من ذلك قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ (الروم:41) أي برز واستعلن).[2]

اصطلاحا:

الإظهار في الاصطلاح (مصطلح مستخدم في فنون عدة، فعند علماء التجويد هو: إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة ولا تشديد في الحرف المظهر، وعندهم كذلك: أن يؤتى بالحرفين منطوقا بكل واحد منهما على صورته موفًّ جميع صفته مخلصا إلى كمال بنيته).[3]

---

[1] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ج 2، ص 282.

[2] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، ط 2، 1970، مصر، ص 471.

[3] بغية المريد من أحكام التجويد، مهدي الحرازين، دار البشائر الإسلامية، ط 1، 2001، الكويت، ص 132.

وعند أهل البلاغة: (فهو مصطلح ذو كلمة واحدة في بيان ضده الذي هو الإضمار، على حد قول القائل: وبضدها تتميز الأشياء، وكثيرا ما يأتي مركبا من عدة كلمات كقولهم: الإظهار في مقام الإضمار). [1]

تعريف الإضمار :

لغـــة:

الإضمار لغة هو (الإخفاء، يقال: أضمر الشيء: أخفاه، ويقال: أضمر في نفسه شيئا: أي عزم عليه بقلبه، والضمير: المضمر الذي تخفيه في نفسك، ويصعب الوقوف عليه، وهو السر وداخل الخاطر). [2]

ومن معاني مادة (ضمر) اللغوي أيضا: الهزال، يقال: فرس ضامر، وفي التنزيل :﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج:27) أي الإبل المهازيل. والإضمار والضمير والمضمر كلها ألفاظ ذات مدلول واحد، وهاهنا تنبيه تجدر الإشارة إليه: أن المدرسة الكوفية في النحو يسمون الضمير كناية ومكنيا، فهما من قبيل الأسماء المترادفة، أما البصريون فيرون أن الضمائر نوع من المكنيات، فكل ضمير مكني، وليس كل مكني مضمرا).[3]

اصطلاحا:

الإضمار في الاصطلاح هو: (إسقاط الشيء لفظا لا معنى، قال الكفوي: "الإضمار ما ترك ذكره من اللفظ، وهو مراد بالنية).[4]

---

[1] معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، ج 2، ص 511.

[2] القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص 551.

[3] مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، ط3، 1996، بيروت، ص 314.

[4] الكليات، الكفوي، ت: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط1، 1992، بيروت، ص 384.

وإنه لما للإضمار من شرف عال (فالمتأمل في بلاغة الإظهار في مقام الإضمار، والإضمار في مقام الإظهار مثلا، لا يتمالك نفسه إلا أن يكون معجبا بالأسرار والفوائد والنكت البلاغية التي تتناسب في مقام كل منهما).[1]

وقد أشير إلى أهمية هذا الموضوع وفائدته وحاجة المفسر إلى معرفته غير واحد من أهل العلم قديما وحديثا: (إذ يقول يحي بن حمزة العلوي تحت عنوان: (الإظهار في موضع الإضمار): (واعلم أن هذا وإن كان معدودا من علم الإعراب، لكن له تعلق بعلم المعاني، وذلك أن الإفصاح بإظهاره في موضع الإضمار له موقع عظيم، وفائدة جَزْلة).[2]

ويقول الشيخ ابن العثيمين رحمه الله: (وربما يؤتى مكان الضمير بالاسم الظاهر، وهو ما يسمى: الإظهار في موضع الإضمار، وله فوائد كثيرة تظهر حسب السياق). [3]

وللدكتور صالح العايد كلمة نفيسة في هذا المقام يقول فيها: (والإظهار يحسن في موضعه، كما هو الإضمار في موضعه، ولكن الإظهار في موضع الإضمار أتى في القرآن الكريم كثيرا، محققا فوائد عظيمة وصلت به إلى قمة البلاغة، وتسنمت به ذرى الفصاحة وسنامها). [4]

ويقول عبد الله بن حمد المنصور:(وللإظهار محل الإضمار، وللإضمار محل الإظهار أسباب وأنواع، هذا محل إيرادها، وإنما الغرض بيان أن بعض المفسرين قد يشكل عليه فهم الغرض والمعنى، لعدم معرفته بهذا الأسلوب البلاغي الوارد في الآية، وإنه من ينظر إلى مصطلح الإظهار في مقام الإضمار عبر الأزمنة يجد أنه مصطلح بلاغي، جرى على ألسنة الكثير من العلماء قديما وحديثا، ومعناه: أن يكون السياق يقتضي أن يؤتى بالضمير، ولكن يؤتى بالظاهر مكان الضمير). [5]

---

[1] الإظهار في مقام الإضمار، عبد الرزاق حسين أحمد، دار الوعي الإسلامي للطباعة، ط3، 2011، الكويت، ص 11.

[2] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي العلوي، ج 2، ص 148.

[3] أصول في التفسير، العلامة محمد صالح ابن العثيمين، دار البصيرة، ط1، 2002، القاهرة، ص 53.

[4] نظرات لغوية في القرآن الكريم، صالح العايد، دار إشبيليا، ط2، 2002، مصر، ص 53.

[5] مشكل القرآن الكريم، عبد الله المنصور، دار ابن الجوزي، ط1، 2005، الدمام – السعودية، ص 306.

القصـــــر:

لغـــــــة:

(من قصر الشيء يقصره قصرا أي حبسه، وهو من الحصر وهو الضيق، قال تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُم﴾ ، (النساء:90)، أي ضاقت صدورهم، وهو الاختصاص، يقال: خصه بالشيء يخصه خصا وخصوصا وخَصوصية وخُصوصية والفتح أفصح، وخِصِّيصى، وخصصه واختصه أفرده به دون غيره، ويقال: اختص فلان بالأمر، وتخصص له إذا انفرد، وهو أيضا من الاستثناء، يقال استثنيت الشيء من الشيء حَاشَيتُه).[1]

ذكر حسن حبنكة تعريفا لغويا للقصر ما نصه:

(القصر: يأتي في اللغة بمعنى التخصيص، يقال لغة: قصر الشيء على كذا، إذا خصه به، ولم يجاوز به إلى غيره. ويقال: قصر غلَّة بستانه على عياله، إذا جعلها خاصة لهم، وقصر الشيء على نفسه، إذا خص نفسه به، فلم يجعل لغيره منه شيئا، ويأتي القصر أيضا بمعنى الحبس، يقال لغة: قصر نفسه على عبادة ربه، إذا حبسها على القيام بعبادة ربه، وقصر جنده على ممارسة التدريب العسكري في القلعة، إذا حبسهم وألزمهم بذلك فيها). [2]

إذن فغالبية المرادفات لها جدول واحد وهو ما ذكره البلاغيون، فلا تنفك تعريفاتهم تختلف عن الإجماع.

---

[1] الطاهر بن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره، رانية جها إسماعيل، 2009، غزة –فلسطين، ص268.

[2] البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص 523.

اصطـلاحـــا:

قال الجرجاني في التعريفات: (القصر تخصيص شيء بشيء وحصره فيه، ويسمى الأول مقصورا، والثاني مقصورا عليه كقولنا في القصر بين المبتدأ والخبر "إنما زيد قائم).[1]

وعرفه الخطيب القزويني فقال: (هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص).[2]

ولم يحد العلماء عن هذا التعريف، وإن اختلفت صياغتهم، فقال السيوطي: (أمّا الحصر، ويقال له القصر، فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، ويقال أيضا: هو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه).[3]

طرفا القصر:

1-المقصور، وهو الشيء المخصص.

2-المقصور عليه وهو الشيء المخصص به.

أقسام القصر:

أولا: يكون بحسب أحوال المقصور والمقصور عليه صفة أو موصوفا.

القسم الأول: قصر الموصوف على الصفة

وهو أن يحبس الموصوف على الصفة دون غيرها، ويختص بها دون غيرها، وقد يشاركه غيره فيها، ويتم ذلك بتقديم الموصوف على الصفة.

القسم الثاني: قصر الصفة على الموصوف

---

[1] التعريفات، الشريف الجرجاني، ص 183.

[2] التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص 137.

[3] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ص 127.

وهو (أن تحبس الصفة على موصوفها، وتختص به، فلا يتصف بها غيره، وقد يتصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات، ويتم ذلك بتقديم الصفة على الموصوف.

ومما يستخلص أن الموصوف إذا تقدم على الصفة يعتبر من قصر الموصوف على الصفة، أما إذا تقدمت الصفة على الموصوف فهو يحتمل أمرين: قصر حقيقي أو قصر إضافي).[1]

ثانيا: (التقسيم القائم على دلالة جملة القصر على الإثبات والنفي – تبعا لغرض المتكلم – وهذا ما يسمى عند البلاغيين بالقصر الحقيقي والإضافي).[2]

القصر الحقيقي:

(وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة لا يتعداه إلى غيره أصلا).[3]

أي: (إذا كان الشق الثاني من دلالة جملة القصر وهو النفي، فإن كان عاما كان القصر حقيقيا، والمقصور يختص بالمقصور عليه، أي يثبت له وينتفي عما عداه انتفاءً عاما ومطلقا، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (المؤمنون: 117)).[4]

قال ابن عاشور: (والقصر في قوله فإنما حسابه عند ربه قصر حقيقي، وفيه إثبات الحساب وأنه لله وحده مبالغة في تخطئتهم وتهديدهم).[5]

القصر الإضافي:

---

[1] مدخل إلى البلاغة العربية، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، ط 1، 2007، عمان –الأردن، ص 113.

[2] البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، ط 3، 1992، القاهرة، ص247.

[3] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ج 2، ص 449.

[4] البلاغة الاصطلاحية، ص 247.

[5] الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره، رانية جهاد الشوبكي، ص273.

(هو الإضافة إلى شيء آخر بأن لا يتجاوزه إلى ذلك الشيء، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر في الجملة. أي إذا كان الشق الثاني من دلالة جملة القصر وهو النفي، فإن كان خاصا كان القصر إضافيا، وكذلك بالإضافة إلى صفات أخرى معينـة ومحددة، أو إلى موصوفين آخرين معينين ومحددين).[1]

(وقد اختصت الصفة بالموصوف وتجاوزته إلى موصوفين آخرين، كقولهم: إنما الشهيد أحمد، فالشهادة قصرت على أحمد بالإضافة إلى آخرين غيره).[2]

طرق القصر:[3]

يستفاد القصر من عدة طرق:

الطريق الأول: أن يكون بعبارة تدل عليه بمادتها اللغوية صراحة، مثل:" دخول مكة مقصور على المسلمين، غرفة القصر العليا خاصة بسيد القصر، سبق الفارس خالد جميع المتسابقين، سد الصين أعظم سد في الأرض وأطوله ".

الطريق الثاني: أن يكون بدليل خارج عن النص، كدليل عقلي، أو دليل حسي، أو دليل تجربي، أو دليل من القرائن الذهنية أو الحالية، مثل: فلان رئيس الجمهورية، الله رب السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير، تبث الشمس ضياءها على الأرض فتُمِدُّهَا بالحرارة.

لكن القصر بواحد من هذين الطريقين لا يدخل في اهتمامات علماء البلاغة تفصيلا وتقسيما وشرحا، إلا أن القصر المستفاد بواحد منهما مشمول بكل أحكام القصر وتفصيلاته من جهة المعنى والسبب في أن البلاغيين لم يوجهوا لهما اهتماماتهم، أنهما طريقان يتعذر حصر عناصرهما أو يَعْسُر.

---

[1] التعريفات، الشريف الجرجاني، ص 183.

[2] البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة ص 249.

[3] البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة، ج 1، ص530.

الطريق الثالث: أن يكون القصر ببعض الأدوات التي تدل عليه بالوضع اللغوي، وهي: النفي والاستثناء، وكلمتا " إنما ـ أنَّما " والعطف بالحروف التالية :((لا، بل، لكن)).

الإيجاز والإطناب والمساواة:

تفكير كل إنسان، وما يجول بخاطره، ويختلجه صدره، وما يريد أن يعبر عنه، لا يكاد يخرج عن إيجاز أو إطناب أو مساواة، وذلك مراعاة لما يقتضيه المقام، ومراعاة لأحوال السامعين.

حيث جاءت هذه الفنون الثلاثة، وبرع فيها العرب، وجاء الوحي الكريم أكثر براعة وقوة، متحديا ما زعموا أنهم قد برعوا فيه، وتفاخروا فيه في مجالسهم وجميع مجالات حياتهم.

وسأحاول تعريف كل فن على حده.

أولا: الإيجـــــاز

لغـــة:

(الإيجاز من وجز، وجُزَ الكلام وَجازة ووَجْزاً، وأَوجَزَ قلَّ في بلاغة، وأوجَزَه اختصره، ويقال: أوجز فلان إيجازا في كل أمر، وأمر وجيز وكلام وجيز، أي: خفيف مقتصر).[1]

اصطلاحـــا:

(هو التعبير عن معان كثيرة بألفاظ قليلة، أي: الاختصار دون إخلال، وهذا ما دارت عليه جميع تعريفات أغلبية العلماء، فقالوا: هو:" تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة فالألفاظ القليلة إيجاز، والإيجاز يجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل، وإنما يحسن مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى، فيأتي باللفظ القليل الشامل لأمور كثيرة).[2]

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، مادة وجز.

[2] إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط5، 1997، القاهرة-مصر، ص 262.

إذن فالإيجاز هو طي المعاني الكثيرة تحت ألفاظ قليلة، مؤدية المعنى دون إخلال في ذلك.

وقد ورد الإيجاز بمعنى البلاغة (ودل الجاحظ على ذلك بحوار دار بين معاوية رضي الله عنه وأعرابي يسمى صحَّار، فقال: "قال له معاوية رضي الله عنه ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز، قال له معاوية رضي الله عنه: وما الإيجاز؟ قال له صحَّار: أن تجيب فلا تبطئ، وأن تقول فلا تخطئ).[1]

واعتبر الإيجاز ميزة للمخاطب بهذا الأسلوب، حتى قيل: (والإيجاز مظهر رقي المخاطب وآية فهمه وذكائه، بحيث يكفيه من الكلام موجزه، ومن الخطاب أقصره).[2]

أقسام الإيجاز: ينقسم الإيجاز إلى قسمين:

1- إيجاز قصر: [3]

هو "التعبير عن المعنى المراد بلفظ أقل منه مع الوفاء به"، أو هو "تضمين العبارات القصيرة معان قصيرة من غير حذف ".

ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن الأثير في كتابه المثل السائر، فقال: " فإنه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (البقرة :179). لا يمكن التعبير عنه إلا بألفاظ كثيرة، لأن معناه إذا قتل القاتل امتنع غيره عن القتل، فأوجب ذلك حياة للناس، ولا يلتفت إلى ما ورد عن العرب من قولهم: القتل أنفى للقتل، فإن من لا يعلم يظن أن هذا على وزن الآية، وليس كذلك، بل بينها فرق من ثلاثة أوجه: الأول: أن القصاص حياة لفظتان، والقتل أنفى للقتل ثلاثة ألفاظ.

الوجه الثاني: أن في قولهم القتل أنفى للقتل تكريرا ليس في الآية.

---

[1] البيان والتبيين، الجاحظ، ج 1، ص 96.

[2] مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، دار الكتاب العربي، ط1، 1995، بيروت – لبنان، ج 1، ص 217.

[3] البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين، المكتبة العلمية، ط2، 2002، بيروت-لبنان، ص 242.

الثالث: أنه ليس كل قتل نافيا للقتل إلا إذا كان على حكم القصاص.

وهذا القسم من الإيجاز مطمح نظر البلغاء وبه تتفاوت أقدارهم، حتى إن بعضهم سئل عن البلاغة، فقال: هي إيجـاز القصر.

2- إيجـــاز حذف:

لغـــة: (من حذف الشيء يحذفه حذفا، قطعه من طرفه، وحذْف الشيء إسقاطه).[1]

اصطلاحا: (إسقاط جزء الكلام، أو كله لدليل).[2]

وهناك إشارة لطيفة من السيد أحمد الهاشمي في كتابه جواهر البلاغة، حيث قال في هذا الباب: (أما إيجاز الحذف فهو ما قصد فيه إلى إكثار المعنى، مع حذف شيء من التركيب، ويكون بحذف كلمة، أو جملة أو أكثر – لا يخل بالفهم – مع قرينة تُعَيِّنُ المحذوف). [3]
وبيّن الباقلاني الهدف العام من الحذف، فقال: (والحذف أبلغ من الذكر، لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب). [4]

وبذكر مثال واحد يتضح المعنى أكثر، وهو: حذف الحرف.

(من حذف حرف الجر قوله تعالى: ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة: 6)، فالتقدير: اهدنا إلى الصراط المستقيم فحذف (إلى) بدليل الآية:﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: 52).

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة حذف.

(2) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ت: محمد إبراهيم، دار المعرفة، ط 2، 1972، بيروت-لبنان، ج 2، ص 102.

(3) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص 179.

(4) إعجاز القرآن، الباقلاني، ص 262.

وقد يلاحظ مع حذف حرف الجر معنى لا يكون مع ذكره، فالهداية إلى طريق الخير لا تستلزم سلوكه بخلاف هداية طريق الخير، فكان الداعي بقوله: ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ إنما يدعو أن يرشده الله إلى طريق الخير، ويعينه ويوفقه في ارتياده).[1]

ثانيا: الإطنـاب

لغــة:

يقال (أطنب في الكلام: بالغ فيه، وأطنب في الوصف إذا بالغ واجتهد، وأطنب في الكلام إذا أبعد، وأطنبت الإبل إذا تبع بعضها بعضا في السير).[2]

اصطلاحا:

يقال هو: (تطويل اللفظ والمعنى جميعا للمبالغة في الإفهام ". أو هو التعبير عن المراد بزائد، أي: بلفظ على الأصل المراد لفائدة، ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ (مريم:4)، فقد أراد زكريا عليه السلام أن يخبره بكبره وتقدم سنه، فجعل الألفاظ زائدة على المعاني لفائدة، وهي إظهار ضعفه وتأكيد الوهن، لأنه لو قال: رب إني قد كبرت لأفاد ذلك الإخبار بتقدم العمر فقط، دون الضعف، إذ قد يكون مع تقدم سنه قويا نشيطا.

ومثال آخر من قوله تعالى :﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (طه: 6) ، فقد كان يكفي في الجواب أن يقول موسى عليه السلام: عصا، ولكنه أطنب وفصّل، فأضاف العصا إليه وذكر وظائفها بعضها مفصلًّا: ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾، وبعضها مجملًا: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾، ولعله كان يطمع في أن يُسأل عن هذه المآرب فيجيب عنها، وبهذا يمتد الحديث ويطول، لأنه في مقام رب العزة سبحانه،

---

[1] الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السلام، مكتبة القرآن، ط1، 1991، القاهرة-مصر، ص 100.

[2] لسان العرب، ابن منظور، مادة أطنب.

وهو مقامٌ يحلو فيه الإطناب، و مقام تعظيم وتشريف، فالزيادة في الجواب تحققُ فائدة، فإذا لم تحقق الزيادة فائدة في الكلام كان تطويلًا أو حشوًا) .[1]

فالإطناب الهدف منه أن يراعى فيه فهم السامعين، لئلا تكون أداة لعدم فهم أوامر ونواهي الله عز وجل، وللإطناب أقسام، عدها البلاغيون، ولعل أهمها:

أقسام الإطناب: [2]

1- الإيضاح بعد الإبهام: كقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ (طه: 120)، فأنت تترقب، ما الذي وسوس به الشيطان؟ إن في ذلك إجمالا لابد من بيانه، فبينه سبحانه بقوله :﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ (طه:120).

2- ذكر الخاص بعد العام: كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ (البقرة: 238). فلقد ذكرت الوسطى مرتين، فهي داخلة في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾، ثم ذكرت مرة أخرى تنويها وتعظيما، كأنما هي شيء آخر.

3- التكرير والتوكيد لمعنى: كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، (الشرح:5-6)، أو للحث على شكر نعمة من النعم، كما في قوله سبحانه:﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . (الرحمن :13).

4- الاعتراض: كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَا يَشْتَهُونَ﴾ ، (النحل:57) فـ (سبحانه) معترضة.

ثالثا: المســـــاواة

مما يلاحظ أنه لا تبعد الدلالة الاصطلاحية للمساواة عن دلالتها اللغوية، وهوما سأبينه في التعريفين الآتيين.

---

[1] المعاني، تأليف: مناهج جامعة المدينة العالمية، نشر: جامعة المدينة العالمية، 1993، السعودية، ص 510.

[2] تسهيل البلاغة، أبي عبد الله فيصل قائد الحاشدي ص: 75 – 76.

لغـــــة: [1]

يقال: ساوى الشيء بالشيء إذا عادله، وساويت بين الشيئين إذا عدلت بينهما وسويت. ويقال: فلان وفلان سواء أي متساويان، وقوم سواء لأنه مصدر لا يثنى ولا يجمع.

قال الله تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ (آل عمران: 113)، أي ليسوا مستوين.

وقوله عز وجل: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ﴾ (الشعراء :98)، أي نعدلكم فنجعلكم سواء في العبادة.

وسويت الشيء فاستوى، وهما على سوية من هذا الأمر أي على سواء.

وفي الحديث ﴿سأَلْتُ رَبِّي أَن لَا يُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِي عَدُوّاً مِن سَواءِ أَنفسِهم فيسْتَبِيحَ بيْضتَهم ﴾ ، أي من غير أهل دينهم.

اصطلاحـــــا:

(هي في مصطلح فرسان البيان عبارة عن تأدية المقصود بمقدار معناه من غير زيادة فيه ولا نقصان عنه، ثم إنها جارية على وجهين، أحدهما أن يكون مساواة مع الاختصار، وهذا نحو أن يتحرى البليغ في تأدية معنى كلامه أوجز ما يكون من الألفاظ القليلة الأحرف، والكثيرة المعاني، التي يتعسر تحصيلها على من دونه في البلاغة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ﴾ (الرحمن: 60) وقوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ (سبأ: 17).

فهذه أحرف قليلة تحتها فوائد غزيرة، ونكت كثيرة، فهذا نوع من المساواة، وثانيهما أن يكون المقصود المساواة من غير تحرّ ولا طلب اختصار، ويسمى «المتعارف» والوجهان محمودان في البلاغة جميعا، خلا أن الأول أدل على البلاغة وأقوى على تحصيل المراد، ولهذا فإنك ترى أهل البلاغة متفاوتين في ذلك، فأعظمهم قدرا فيها من كان يمكنه تأدية مقصوده في أخصر لفظ وأقله، وهذا لا يكون إلا لمن كان له موقع فيها بحيث يمكنه التقصير والاختصار في لفظ قليل، ولنقتصر على هذا القدر من العلوم المعنوية، ففيه كفاية للمطلوب، فأما التقديم، والتأخير، والتعريف، والتنكير، والإظهار، والإضمار، في المسند والمسند إليه، فهو وإن كان جزءا من العلوم المعنوية، لكنا قد أوردناه

[1] لسان العرب –ابن منظور، مادة ساوى.

في الإسناد، وذكرنا هذه الأحوال، وأظهرنا التفرقة بينها، وقررنا الوجه الذى لأجله جيء بها، فلهذا كان ذكرها هناك مغنيا عن الإعادة والله أعلم) .[1]

المجـــــاز:

لغـــــة:

(مشتق من الجواز الذي هو التعدي والعبور جاوزت الموضع جوازاً بمعنى جزته، والمجاز والمجازة: الموضع).[2]

وفي تعريف آخر: (المجاز اسم للمكان الذي يجاز منه كالمزار وشبهه، وحقيقته هي الانتقال من مكان إلى مكان. وأخذ هذا المعنى واستعمل للدلالة على نقل الألفاظ من معنى إلى آخر).[3]

اصطلاحا:

عرفه عبد القاهر الجرجاني بأنه: (كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول).[4]

وقال السكاكي في :(المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع). [5]

ويرى صاحب كتاب الطراز أن أحسن ما قيل في المجاز هو أنه: (ما أفاد معنى غير مصطلح عليه في الموضع الذي وقع فيه التخاطب لعلاقة بين الأول والثاني). [6]

---

[1] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحي بن حمزة العلوي، ج3ص179.

[2]لسان العرب –ابن منظور، مادة جوز.

[3] فنون بلاغية، أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية، ط 1، 1975، بغداد – العراق. ص: 89

[4] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمود شاكر، مطبعة المدني، ط1، 1991، جدة، ص 325.

[5] مفتاح العلوم، السكاكي، ص: 170.

[6] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحي بن حمزة العلوي، ج 1، ص: 63 – 64.

أما تعريف الأصوليين للمجاز فقد عرفه الجويني (بأنه كل لفظ تعدى وتجوز به عن موضوعه إلى غيره بضرب من الشبه). [1]

كما عرفه الشوكاني بأنه: (اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينه).[2]

ومن يتأمل في هذه التعريفات يجد أن اللفظ لا يكون مجازاً إلا وفق اعتبارات معينة استخلصها العلماء من أمثلة المجاز الواردة في كلام العرب أي من طريقتهم في استعمال اللفظ وهي: [3]

1-أن يكون منقولاً عن معنى وضع اللفظ بإزائه أولا يسمى الحقيقة، وتشكل الحقيقة الأصل الذي نقلت منه اللفظة إلى المعنى المجازي.

2-أن يكون النقل لعلاقة بين المعنى الأول والمعنى الثاني، وهذه العلاقة هي التي تجوز الاستعمال، ويرى بعض العلماء أن هذه العلاقة مقتصرة على المشابهة، بينما يتسع آخرون فيرون أنها علاقة اتصال، وهي اتصال للمعنى المستعمل فيه بالموضوع له، والاتصال بين الشيئيين يكون صورة أو معنى كما يصح الاتصال سبباً، فإنه نظير للاتصال صورة في المحسوسات.

3-وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي حتى يصار إلى المجاز.

ووفقا لهذه الاعتبارات التي أشار اليها البلاغيون والأصوليون (إذا كان المجاز بناءً على الاعتبار الأول يمثل خروجاً على النمط التقليدي في المواضعة، فإن الاعتبارين الآخرين يشكلان مسالك لابد من الالتزام بها، لتبرير هذا الخروج، حتى يتمكن المتلقي في النهاية من الامساك بالفكرة المتمثلة في نظم الكلام دون الدخول في دائرة الإحالة، حيث إن العلاقة بين المعنيين وكذلك القرينة المانعة للمعنى الاول، يمثلان أمارات على المعنى الجديد بما يوفرانه من وسائل ربط بين المعنى الأول والجزء المختار منه

---

[1] الكافية في الجدل، الجويني، ت: توفيق حسن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، 1979، مصر، ص 53.

[2] إرشاد الفحول، الشوكاني، تعليق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط 1، 1999، دمشق-سوريا، ج1، ص 95.

[3] نهاية الايجاز، رفاعة الطهطاوي، دار الذخائر، ط 1، 1998، القاهرة -مصر، ص 47.

للتعبير عن المعنى الثاني ، وهذه العلاقة والقرينة يتضح وجودهما من خلال السياق، ومن هنا تبدو أهمية السياق في تحديد المعنى المجازي) .[1]

واختلف العلماء في اشتمال اللغة على المجاز، وكذلك اختلفوا في وقوعه في كتاب الله تعالى فأنكره قوم وأثبته آخرون.

يقول إبراهيم أنيس (إن الإشارة إلى شيوع المجاز وغلبته للحقيقة لكثرة الاستعمال دليل على أن المجاز ظهر نتيجة للضرورات التعبيرية للإنسان باللغة، واستجابة لرغباته في التعبير عن المعاني باستعمال جديد لثروته اللفظية، فغايته دلالية وجمالية في نفس الوقت، وقد يكون لحاجة أو لتوخي الدقة في التعبير، أو للخروج عن المألوف). [2]

وقد دل وقوعه (في الخطب والأشعار على سلامة وصحة المجاز، كاستجابة لضرورات التعبير، ومنه نستدل على أن هذا الوجود لا يشكل إخلالا بالتفاهم بين الناس، بمعنى أن وجوده يمثل وظيفة دلالية في اللغة، فقد وجد+ الناس في الاستعمال المجازي بما يوفره من خرق لبنود المواضعة سبيلاً إلى توسعة اللغة، من خلال منحها قدرات تعبيرية جديدة بالألفاظ نفسها تطبيقا لفكرة الاقتصاد في الاستعمال اللغوي).[3]

إلى جانب آخر يعتبر (الاتساع واحدا من مبررات الاستخدام المجازي، والذي يجعل للمجاز دوراً مهماً يساهم من خلاله في استكمال اللغة لقدرتها على أداء وظيفتها الأساسية وهي الإبانة، فإن من متطلبات الإبانة الوضوح والدقة، وهما كانا سبباً في استحسان الناس للمجاز، وبه حسن مخاطبات الناس بينهم.

فالتعبير بالحقيقة يفيد العلم، والتعبير بلوازم الشيء الذي هو المجاز لا يفيد العلم بالتمام، فيحصل دغدغة نفسانية، حيث إن الاسم مثلا علامة على الشيء، ولكننا حيث ننقله ليعبر به عن

---

[1] البحث الدلالي في كتاب أصول السرخسي، نواس الخفاجي، الجامعة المستنصرية، 2001، مصر، ص64.

[2] دلالة الالفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو مصرية، ط 3، 1972، مصر، ص 130.

[3] الأصول، تمام حسان، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988، بغداد، ص 332.

شيء آخر لمشابهة بينهما في المعنى، فإننا لا ننقله على أنه علامة، بل ننقله لنؤكد به وجه المشابهة مدحاً أو ذماً، فحين نقول (محمد أسد) يكون المراد تأكيد صفة واحدة هي الشجاعة، ونسبتها إلى محمد دون الصفات الأخرى).[1]

إن هذا التوكيد الذي يتسم به المعنى المجازي هو (سبب استحسان الناس له، لأن الاستعمال المجازي للألفاظ، يعطينا علاقات جديدة تتجاوز الدلالة المباشرة، فالكلمة تتغير قيمتها الدلالية عندما تستخدم بصورة مجازية، وتتحول من مجال إلى مجال آخر، فتكتسب في موقعها الجديد درجة أعلى من الوضوح لأنها تسترعي الانتباه في سياقها الجديد ، والحقيقة أن غلبة المجاز للحقيقة في الاستعمال واتساع اللسان به، واستحسان الناس له يشكل تأكيداً لما أشار إليه ابن جني من أن المجاز لا يقع في الكلام ويعدل به عن الحقيقة لمعان ثلاث هي: الاتساع والتوكيد والتشبيه). [2]

وهذه المعاني هي مبررات الاستعمال المجازي للألفاظ، (والتي تمثل سبيلاً يتصل المجاز من خلالها اتصالاً مباشراً بالطاقة التعبيرية في اللغة، وهو موضوع ذو بعدين أحدهما نفعي أخباري، تَمَثَّل في الاتساع والتوكيد، والثاني إبداعي جمالي تمثل في التشبيه، والبعدين كليهما يرتبطان بالحاجة للمجاز، تلك الحاجة التي مهدت إلى قبول المجتمع له، إذ أنها تمثل السبب نفسه الذي كان وراء نشأة اللغة وظهورها، وهي تفاهم أفراد المجتمع فيما بينهم ، وبسبب هذه الحاجة، وبالإضافة إلى الاعتبارات التي أشار إليها البلاغيون والأصوليون للاستخدام المجازي، فيمكن أن يعد المجاز نوعا من الإضافة أو الاتساع في عملية المواضعة، إذ أن وظيفة المجاز هي وظيفة اللغة الأولى في الإيصال والإبانة). [3]

ومعه فإن القول بعموم المجاز يشكل إثباتاً لسمة دلالية أخرى للمجاز، هي استيفاؤه لجميع صيغ التعبير، والتي من خلالها نصل إلى أن عمل المجاز في مفهومه كعمل مواضعه جديدة بما يمنحه سلطة المواضعة الأولى في استيفاء جميع صيغ الألفاظ.

---

[1] الاتجاه العقلي في التفسير، نصر حامد أبو زيد، دار التنوير، ط 1، 1982، بيروت، ص 113.

[2] الخصائص، ابن جني، ج 1، ص 442.

[3] الاتجاه العقلي في التفسير، نصر حامد أبو زيد، ص 124.

(ولذلك فإن الاستخدام المجازي يشمل جميع أقسام الكلام اسماً، أو فعلاً، أو حرفاً، فكل ملفوظ صغيراً كان أو كبيراً صالح للممارسة المجازية، وذلك ناتج من صلاحيته للتدخل في توجيه المعنى، كالاستعارات بين حروف العطف وكذلك حروف الجر وحروف القسم وغيرها فيما بينها).[1] أي أن المجاز ذا قدرات تعبيرية على المعنى لا تقل شأناً عما تؤديه الصياغة بالدلالات اللغوية للألفاظ.

فإذا كانت المواضعة (نوعا من العرف الاجتماعي في دلالة اللغة، أي ربط الدال بالمدلول، فلها دور في التحول المجازي للألفاظ، حيث إن انتقال اللفظ من معنى إلى معنى تكون كذلك إلى جانب علاقة المشابهة، أو الاتصال، ولابد أن يكون مقيساً على صنع الجماعة، أو مرهوناً بقبولهم إن كان من صنع الفرد، فالعلاقات المجازية تنشأ عموماً على أساس اعتماد خاصية معينة يشخصها أناس في مجتمع كلامي خاص، بوصفها تشبيهات سائدة كالافتراس خلسة في الذئب والانسلال والمكر في الثعلب ، ويبقى العرف هو الموثق للجديد فيما يخص اللفظ ابتداءً، أو تغييراً، وبتعبير آخر المجتمع هو المسموح له بالتجوز، وهو المالك لهذا الامر المبيح له والمانع منه).[2]

وعليه يمكن القول: إن عملية الإبداع في التعبير المجازي قضية مفتوحة على مر الزمن، ليتمكن المجاز من خلالها أن يكون سبباً في ديمومة اللغة، من حيث مواكبتها لمتطلبات التطور الحضاري، وكذلك غايات التعبير الجمالية.

---

[1] أصول السرخسي، أبو بكر السرخسي، ت: أبو الوفا الأفغاني، دار المعرفة، 1973، بيروت-لبنان، ص 206.

[2] علم الدلالة العربي، فايز الداية، ص 388.

الفصل الثاني : التغير الدلالي للكلمات

تعريف الدلالة وأثرها في فهم النصوص :

***تعريف الدلالة:**

لغة:

(جاء في لسان العرب: دلَّه على الشيء، يدله دلاً ودِلالة، فَاندَلَّ: سدده إليه، ودللته فَاندَلَّ

قال الشاعر:

مالك يا أحمق لا تندلُّ *** وكيف يندلُّ امرؤ عِثْوَلُ؟

قال أبو منصور: سمعت أعرابيا يقول لآخر: أما تندلُّ على الطريق؟).[1]

كما جاء في معجم الوسيط:(الدلالة هي الإرشاد ومايقتضيه اللفظ عند إطلاقه).[2]

والدلالة (مصدر الفعل دلَّ وتعني الإرشاد والتعريف، وهي الوسيلة الموصلة لمعرفة كنه الشيء، والخارجة به من حيز الإشكال والغموض والإبهام، إلى ميدان المعرفة والإدراك والإفهام، والدلالة هي اسم على وزن كتابة وسحابة).[3]

ويعرف الراغب الأصفهاني :(الدلالة من دلَّ، والدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء أكان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أم لم يكن يقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي، قال تعالى: فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ (سبأ: 17)).[4]

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، مادة دلل.

[2] المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس ورفاقه، دار الدعوة، 1989، إستانبول – تركيا، ج1 ص294.

[3] القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص 292.

[4] المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ت: صفوان عدنان، دار القلم، ط1، 1991، دمشق –سوريا، ص 171.

اصطــلاحا:

عرفها السيد الشريف الجرجاني حيث قال:(الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والأول هو الدال والثاني هو المدلول، وهي إما دلالة مطابقة أو دلالة تضمن، أو دلالة التزام، وكل ذلك يدخل في الدلالة الوضعية، لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى ما يلزمه في الذهن بالالتزام، كالإنسان فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى قابل العلم بالالتزام).[1]

وذكر أحمد مختار عمر تعريفا آخرا فقال: (يعرفه بعضهم بأنه دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى).[2]

وللدكتور هادي نهر تعريف آخر للدلالة وهي :(ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة اللفاظ على المعنى، الذي توحي به الكلمة المعينة، أو تحمله، أو تدل عليه، سواء أكان المعنى عينا قائما بنفسه أو عرضا ... والمعنى مطلقا هوما يقصد بشيء، وأما ما يتعلق به باللفظ فهو معنى اللفظ، ولا يطلقون المعنى على شيء إلا إذا كان مقصودا، وأما إذا فهم من الشيء على سبيل التبعية فهو معنى بالعرض لا بالذات).[3]

عموما فموضوع علم الدلالة يدور حول المعاني.

علاقة اللفظ بالمعنى:

اهتم الكثير من الدارسين اللغويين وغيرهم بقضية اللفظ والمعنى، وتناولوا فكرة أهمية اللفظ ودوره في العملية التواصلية السريعة، وأهمية المعنى في كونه الأصل الذي تكونت من أجله الألفاظ.

---

[1] التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص 55.

[2] علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط 5، 1988، القاهرة – مصر، ص 11.

[3] علم الدلالة التطبيقي، هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، 2007، إربد – الأردن، ص 26.

غير أن ميدان البحث في هذا الأمر وأرضيته هو علم الدلالة، الذي يعد موضوعه بالدرجة الأولى اللفظ والمعنى، من جهة أن اللفظ دال على المعنى، ولا لفظ دون معنى.

ومما يذكر في هذا الباب قول الإمام ابن القيم رحمه الله: (وهذا مطَّرد على أصل من أثبت المناسبة بين اللفظ والمعنى، كما هو مذهب أساطين العربية، وعقد له أبو الفتح ابن جني بابا في الخصائص وذكره عن سيبويه، واستدل عليه بأنواع من تناسب اللفظ والمعنى، ثم قال: ولقد مكثت برهة يرد علي اللفظ لا أعلم موضوعه، وآخذ معناه من قوة لفظه، ومناسبة تلك الحروف لذلك المعنى ثم أكتشف فأجده كما فهمته أو قريبا منه، فحكيت لشيخ الإسلام هذا عن ابن جني فقال: وأنا كثيرا ما يجري لي ذلك، ثم ذكر لي فصلا عظيم النفع في التناسب بين اللفظ والمعنى، ومناسبة الحركات لمعنى اللفظ) .[1]

و بين ابن جني هذه العلاقة حين قال: (فإن العرب فيما أخذناه عنها، وعرفناه من تصرف مذاهبها، عنايتها بمعانيها أقوى من عنايتها بألفاظها، أو لا تعلم أن سبب إصلاحها ألفاظها، وطردها إياها على المثل والأحذية التي قنتها وقصرتها عليها، إنما هو للفرق بين الفاعل والمفعول، وهذا الفرق أمر معنوي أصلح اللفظ له، وقيد مقاده للأوفق من أجله، فقد علم بهذا أن زينة الألفاظ، وحليتها لم يقصد بها إلا تحصين المعاني وحياطتها، فالمعنى إذاً هو المكرم المخدوم واللفظ هو المبتذل الخادم).[2]

وقال أيضا:(ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات، وسائر ما يجري مجراها، مما يُفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة، ويُنسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى، غيرُ وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وآنق وأعجب وأحق بأن تستولي على عوى النفس، وتنال الحظ الوفر من ميل القلوب، وأولى بأن تطلق لسان الحامد، وتطيل لسان الحاسد، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصحّ لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخصّ به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلا، ويظهر فيه مزيّة .

---

[1] جلاء الأفهام، ابن القيم الجوزية، ت: شعيب الأرناؤوط، دار العروبة، ط2 ،1987، الكويت، ص 71.

[2] الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، ج1 ص 150.

إلى أن قال: فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها، في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ). [1]

ولابد من (التلازم بين الكلمة ودلالتها أو بين اللفظ والمعنى في اللغة ليتم التفاهم بين الناس).[2]

وقد أدرك اللغويون القدامى مكانة العلاقة بين اللفظ والمعنى، فقال أبو هلال العسكري في تناوله للعلاقة بين اللفظ والمعنى، وهو يؤكد ضرورة التلاحم والتلازم والترابط بين اللفظ والمعنى، فأعطى اللفظ أهمية عظيمة، وأولى المعاني عناية كبيرة:(أن الكلام ألفاظ تشتمل على معان، تدل عليها، ويعبر عنها، فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى، كحاجته إلى تحسين اللفظ، لأن المدار أبعد على إصابة المعنى، ولأن المعاني تحل من الكلام محل الأبدان).[3]

تبين هذا الكلام أن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة تلازم، باعتبارهما ركنين أساسيين من أركان الدلالة (إذ لا يمكن الاستغناء عن أحدهما أو التقليل من أهمية واحد منهما دون الآخر، فاللفظ يكون دالا والمعنى مدلولا، ومن هنا يتضح في مباحث اللغويين القدامى أنهم كانوا يولون قضايا اللفظ أولوية في مجالات الدراسات اللغوية، واللغويون المحدثون كذلك لهم جهودهم الحثيثة في هذا المجال من الدراسة). [4]

ولم تكن قضايا اللفظ والمعنى مقصورة على جهود اللغويين فحسب، (بل تناولها المفسرون ممن عنوا بتفسير كلام الله عزوجل وبيان وجوهه وإعجازه، وحمل اللفظ على معان كثيرة من خلال النص والسياق).[5]

---

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 43.

[2] الأضداد في كلام العرب، أبو الطيب اللغوي، ت: عزة حسن، المجمع اللغوي العربي، 1963، دمشق، ص36.

[3] الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص 69.

[4] تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام، وليد محمد مراد، منشورات الرشيد، ط1، 1984، دمشق – سوريا، ص179.

[5] التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، معهد البحوث والدراسات العربية، 1966، مصر، ص35.

فاللفظ الواحد في منظور الوحي القرآني مثلا: (يتأرجح بين معنى وآخر، ويكتسب أبعادا جديدة، أو ينتقل إلى مواقع لم يألفها من قبل، وهذا الاستعمال في المواقف المختلفة، وهو الذي يقرر نوع الدلالة وبذلك سحر القرآن الكريم العرب منذ اللحظة الأولى، سواء منهم ذلك من شرح صدره للإسلام، ومن جعل على صدره غشاوة).[1]

مظاهر التغير الدلالي:

تبين للدارسين في مجال الدلالة أن الكلمة قد تتطور دلالتها وتتغير من عصر إلى عصر.

(ومن خلال استقراء التغيرات التي تطرأ على معاني الكلمات في اللغات المختلفة، استطاع علماء اللغة المعاصرون أن يحصروا التطور الدلالي في مظاهر رئيسة تصدق على اللغات جميعا، وبحسب تقسيم منطقي اتبعوه وجدوا أن المعنى القديم للكلمة إما أن يكون أوسع من المعنى الجديد، أو أضيق منه، أو مساويا له، ولم تكن هناك إمكانية رابعة يدخلونها في حسبانهم).[2]

وبذلك وجدوا أن أهم مظاهر التطور الدلالي التي تصيب الألفاظ ثلاثة، هي تخصيص دلالة الكلمة، أو تعميم دلالتها، أو تغيير مجال استعمالها، إذ يقول اللغوي (ج. فندريس): (ترجع أحيانا التغيرات المختلفة التي تصيب الكلمات من حيث المعنى إلى ثلاثة أنواع: التضييق، والاتساع والانتقال فهناك تضييق عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص، وهناك اتساع في الحالة العكسية، أي عند الخروج من معنى خاص إلى معنى عام، وهناك انتقال عندما يتعادل المعنيان، أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص). [3]

ولا بد من القول: إن علماءنا الأوائل قد تنبهوا إلى هذه المظاهر الثلاثة من مظاهر التطور الدلالي، وأغنوها بالبحث والأمثلة الكثيرة، وهي مبينة فيما يلي:

---

[1] مناهج المفسرين، مساعد مسلم وهلال السرحان، دار المعرفة، ط1 ،1980، بغداد-العراق، ص5.

[2] دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمن، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، 1973، مصر، ص 162.

[3] اللغة، فندريس، ت: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، لجنة البيان العربي، 1950، مصر، ص 256.

أولاً: انتقال الدلالة من العام إلى الخاص: [1]

ويسمى أيضا تخصيص العام أو تضييق المعنى، وهو: (أن تقتصر دلالة اللفظ العام على بعض ما كانت تدل عليه، بحيث يصبح مدلول الكلمة مقصورا على أشياء أقل عددا مما كانت عليه الكلمة في الأصل.

ومن حالات التخصيص الدلالي إطلاق الاسم العام على طائفة خاصة تمثل نوعها خير تمثيل في نظر المتكلم، لأن الإنسان إذا وثق من أن محدثه قادر على فهمه، أعفى نفسه من استعمال اللفظ الدقيق المحدد، واكتفى بالتقريب العام، فعندما يقال للفتاة في الريف أدخلي البهائم، تفهم أن المقصود بها البقر، لأن البقر في نظرها هي البهائم، وكذلك لو تكلم الراعي أو الحوذي عن البهائم كان المقصود في الحالة الأولى الأغنام، وفي الثانية الخيل، مع أن لفظة البهائم عامة تدل على جميع الحيوانات.

وفي ذلك يقول ج. فندريس: الكلمات العامة لا تكاد تستخدم في الاستعمال بقيمتها العامة، اللهم إلا إذا كان ذلك عند الفلاسفة، فكل واحد من المتكلمين يطلقها على نوع خاص من أنواع النشاط وقد تكلم علماء اللغة عن المعاني المختلفة لكلمة عملية فإن معناها يختلف تبعا لما إذا كان الكلام في الجراحة، أم في المالية، أم في الفن الحربي، أم في شؤون الغابات، أم في الرياضة).

وأشار إبراهيم أنيس إلى أن:(الناس في تعاملهم اللغوي يميلون إلى الدلالات الخاصة لسهولة التعامل بها، ويعمدون أحيانا إلى الألفاظ ذات الدلالة العامة ويستعملونها استعمالا خاصا، كما في كلمة العيال التي أصبحت تدل على الزوجة، ولكنها أخذت تتجه حاليا لتتخصص في الدلالة على الأولاد أنفسهم، مع أنها كانت تدل في الأصل على كل ما يعال في الأسرة). [2]

---

[1] المرجع نفسه ، ص257.

[2] دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 153.

وتخصصت (كلمة (الحريم) فبعد أن كانت تعني: الذي حرم مسه فلا يدني منه، أصبحت تعني النساء خاصة). [1]

ومن التخصيص (كلمة الصحابة وتعني الصحبة مطلقا، وقد خصصت بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتوبة ومعناها في اللغة الرجوع، وخصت بالرجوع عن الذنب، وكلمة الفاكهة كانت تعني الثمار كلها، ثم خصّصّ هذا المعنى وأصبحت تدل على أنواع معينة من الثمار، وكلمة حرامي هي في الأصل نسبة إلى الحرام، ثم تخصصت دلالتها واستعملت بمعنى اللص في القرن السابع الهجري).[2]

ويفسر علم اللغة الحديث (سبب التخصيص بأنه نتيجة إضافة بعض الملامح التمييزية للفظ، فكلما زادت الملامح لشيء ما قل عدد أفراده). [3]

وقد تنبه اللغويون العرب القدامى إلى ظاهرة تخصيص الدلالة في العربية وعرفوا علتها كذلك، وفي ذلك يقول أحمد بن فارس (ت 395 هـ) مشيراً إلى التطور الاجتماعي والثقافي الذي يؤدي إلى التطور اللغوي (كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله ـ جلَّ ثناؤه ـ بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت.

ومما جاء في الشرع الصلاة، وأصله في لغتهم: الدعاء، وكذلك الصيام، أصله عندهم الإمساك، ثم زادت الشريعة النية، وحظرت الأكل والمباشرة، وغير ذلك من شرائع الصوم، وكذلك الحج، لم يكن عندهم فيه غير القصد، وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء، وزاد الشرع ما زاده فيها). [4]

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، مادة حرم.

[2] علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار المعارف، 1962، مصر، ص 284.

[3] علم الدلالة العربي، فايز الداية، ص 246.

[4] الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، ص 86.

فهذه الألفاظ الإسلامية وغيرها كثير، أصابها التطور الدلالي نتيجة التطور الاجتماعي والثقافي الذي طرأ على المجتمع العربي بعد مجيء الإسلام، وقد كان اللغويون الأوائل واعين لهذا الجانب من جوانب التطور اللغوي عارفين علله ومظاهره.

وتحدث السيوطي (ت911هـ) أيضاً عن هذا المظهر من مظاهر التطور الدلالي أي :تخصيص الدلالة، ضمن باب سماه:(معرفة العام والخاص) ذكر فيه اللفظ (العام المخصوص) وهو عنده اللفظ الذي : (وضع في الأصل عاما، ثم خص في الاستعمال ببعض أفراده ... وقد ذكر ابن دريد أن (الحج) أصله: قصدك الشيء وتجريدك له، ثم خص بقصد البيت، فإن كان هذا التخصيص من اللغة صلح أن يكون مثالا فيه ، وإن كان من الشرع لم يصلح ، لأن الكلام فيما خصته اللغة لا الشرع، ثم ذكر مثالاً في غاية الحسن، وهو لفظ (السبت)، فإنه في اللغة (الدهر)، ثم خصَّ في الاستعمال لغةً بأحد أيام الأسبوع ، وهو فرد من أفراد الدهر.

وكذلك في الجمهرة: رث كل شيء: خسيسه، وأكثر ما يستعمل فيما يلبس أو يفترش، وهذا مثال صحيح).[1]

ثانيا: انتقال الدلالة من الخاص إلى العام:

ويسمى أيضاً توسيع المعنى (ويحصل عند الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام، ومثلما يصيب التخصيص دلالة بعض الألفاظ فقط يصيب التعميم دلالة بعضها الآخر، فنجد أن معنى الكلمة يصبح ممكن التطبيق على مدى أوسع وأشمل، ويصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق). [2]

وقد تطرق إبراهيم أنيس إلى هذا فقال :(ينحصر تعميم الدلالة في إطلاق اسم نوع خاص من أنواع الجنس على الجنس كله، وهذه حال الأطفال الذين يسمون جميع الأنهار باسم النهر الذي يروي البلدة التي يعيشون فيها.

---

[1] المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ت: فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، ط1، 1988، بيروت، ج1 ص427.

[2] علم الدلالة، فايز الداية، ص243.

وكثيرا ما يلاحظ أن الأطفال يطلقون اسم الشيء على ما يشبهه لأدنى ملابسة أو مماثلة، فقد يطلقون لفظ (الأب) على كل رجل، وكذلك الناس في حياتهم العادية يكتفون بأقل قدر ممكن من دقة الدلالات وتحديدها، ويكتفون بالقدر الذي يحقق هدفهم من الكلام والتخاطب، وهم لذلك قد ينتقلون بالدلالة الخاصة إلى الدلالة العامة التماسا لأيسر السبل في خطابهم.

ومن أمثلة التعميم، أن الناس في خطابهم اليوم يطلقون اسم (الورد) على كل زهر، و(البحر) على النهر والبحر، وكلمة (البأس) التي كان معناها الشدة في الحرب خاصة، عُمّمت دلالتها حتى أطلقت على كل شدة، وعقد ابن دريد (ت 321هـ) في كتابه (جمهرة اللغة) بابا لهذا الضرب من ضروب التطور الدلالي سماه (باب الاستعارات) قال فيه:(النُّجْعَة) أصلها طلب الغيث، ثم كثر فصار كل طلب انتجاعا). [1]

وعلى سبيل المثال ما ذكره الجرجاني مبينا هذا العنصر فقال:

((المنيحة): أصلها أن يُعطى الرجل الناقة، فيشرب لبنها أو الشاة، ثم صارت كل عطية منيحة.

و(الوغى): اختلاط الأصوات في الحرب، ثم كثر فصارت الحرب وغى، وكذلك الواغية.

و (الغيث): المطر، ثم صار ما نبت بالغيث غيثاً.

و(السماء): المعروفة، ثم كثر حتى سمي المطر سماء.

و(الندى): المعروف، ثم كثر حتى صار العشب ندى.

وقولهم: ساق إليها مهرها في الدراهم، وكان الأصل أن يتزوجوا على الإبل والغنم فيسوقونها، فكثر ذلك حتى استعمل في الدراهم.

و(الراوية): البعير الذي يستقى عليه، ثم صارت المزادة راوية.

و(الدفن) للميت، ثم قيل: دفن سره إذ كتمه.

---

[1] دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص155.

و(العقيقة): الشعر الذي يخرج على الولد من بطن أمه، ثم صار ما يذبح عند حلق ذلك الشعر عقيقة.

و(الظمأ): العطش وشهوة الماء، ثم كثر حتى قالوا: ظمئت إلى لقائك.

و(المجد): امتلاء بطن الدابة من العلف، ثم قالوا: مجد فلان فهو ماجد، إذا امتلأ كرماً.

و(الأفن) : قلة لبن الناقة، ثم قالوا : أَفِنَ الرجل إذا كان ناقص العقل فهو أفين ومأفون..
و(الصبر): الحبس، ثم قالوا: قُتِلَ فلان صبرا: أي حبس حتى قتل.

و(البأس): الحرب، ثم كثر حتى قيل: لا بأس عليك، أي لا خوف عليك.

و(الرائد): طالب الكلأ، وهو الأصل، ثم صار كل طالب حاجة رائداً.

و(الكِدَّة): الأرض الغليظة، لأنها تكد الماشي فيها، وكثر الكد في كلامهم، حتى قالوا: كد لسانه بالكلام، وقلبه بالفكر). [1]

وكذلك تناول ابن فارس ظاهرة تعميم الدلالة وأفرد لها باباً بعنوان: ((القول في أصول أسماء قِيسَ عليها وألحق بها غيرها)) جاء فيه: (كان الأصمعي يقول: أصل (الوِرْد): إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيء وردا، و(القَرَبُ): طلب الماء، ثم صار يقال ذلك لكل طلب، فيقال هو يقرب كذا أي يطلبه، و(لا تقرب كذا).

ويقولون: (رفع عقيرته) أي: صوته، وأصل ذلك: أن رجلا عقرت رجله فرفعها وجعل يصيح بأعلى صوته، فقيل بعد لكل من رفع صوته: رفع عقيرته.

ويقولون: (بينهما مسافة) وأصله من (السوف) وهو الشم، ومثل هذا كثير). [2]

والذي يلاحظ (من خلال أمثلة تعميم الدلالة هذه أن ثمة علاقة معينة بين المعنى القديم والمعنى الجديد للكلمة، أحياناً تكون هذه العلاقة علاقة مشابهة أو علاقة مجاورة أو بعض علاقات المجاز.

---

[1] أسرار البلاغة، الجرجاني، ص347.

[2] الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، ص 112.

ومن هذا التعميم الناتج عن التشبيه تحويل بعض الأعلام المشهورة إلى صفات فيقال: (حاتم) للكريم المضياف، و (عرقوب) لمن عرف بإخلاف الوعود. إلخ.

ويرى بعض الباحثين أن تعميم الدلالات أقل شيوعاً في اللغات من تخصيصها، وأقل أثراً في تطور الدلالات وتغيرها.

ويفسر علم اللغة الحديث ظاهرة التعميم هذه بأنها ناتجة عن إسقاط بعض الملامح التمييزية للفظ، والذي يبدو أن التشبيه والمجاز المرسل بعلاقاته المعروفة، سببان رئيسان كذلك في نشوء ظاهرة التعميم الدلالي، لأن العلاقة بين دلالتي اللفظ ـ قبل التعميم وبعده ـ غالباً ما تكون علاقة مشابهة، أو إحدى علاقات المجاز المرسل). [1]

ثالثا: رقـــي الدلالـــــة

إن الألفاظ من تطورها، قد ترتقي فيها المعاني من السفال والابتذال إلى ما هو أقوى وأرفع من شاكلتها، لتسمو حسب الزمان والمكان والملابسات والحال.

قال إبراهيم أنيس: (فكما قد تنحط الدلالة في الألفاظ قد تقوى في ألفاظ أخرى، غير أن ضعف الدلالة أو انحطاطها أكثر ذيوعا في اللغات بوجه عام.

فارتفاع الدلالة عما كانت عليه في السابق، يكون نتيجة وسمها بمدلول يرتفع عن المدلول الذي كانت عليه، ولعل الفيصل في ذلك النظرة الدينية أو الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية للمتحدثين، فتعبر الدلالة بمفهومها الجديد، عن أمور عظيمة الشأن، بعد أن كانت في الماضي تعني أشياء وضيعة.

فكلمتا (رسول وملاك) كانتا تطلقان في الماضي على الشخص المرسل في أي مهمة مهما كان شأنها، وبعد ظهور الإسلام اكتسبتا معنى شريفا مرتفعا، ذا قيمة عالية، وأصبح لهما تلك الدلالة السامية التي نألفها، والملاك: الملك لأنه يُبَلِّغُ عن الله.

---

[1] دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 154.

وكلمة (سيارة) كانت في الماضي تعني مجموعة من الإبل السائرة بالمتاع، وذاك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَت سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُم﴾ (يوسف: 19)، وعندما تطورت وسائل النقل والمواصلات، تطورت دلالة هذه الكلمة، فأصبحت تعني المركبة الميكانيكية، التي تفوق الإبل سرعة وحملا، وكلمة (عفش) كانت تعني الشيء الذي لا قيمة له، أو الإنسان الذي لا خير فيه، فقد جاء في معجم لسان العرب: "عفش: عَفَشَه يَعْفَشُه عفْشًا: جمعه، وفي نوادر الأعراب: به عُفَاشَةٌ من الناس ونُخَاعةٌ ولُفاظَةٌ، يعني من لا خير فيه من الناس، وحاضرا أصبحت تدل على ما يعد للعروس من الأثاث الثمين، ولعل هذا الارتفاع الذي أصاب الدلالة، نتيجة لرقي مدلولها، هو الذي أدى إلى انتقالها تماما عن المدلول الأول وإحلالها المدلول الجديد) [1].

رابعا: هبـــوط الدلالـــــة:

مدلول الكلمات يطرأ عليه ما يطرأ على الإنسان من ضعف ثم قوة، أو قوة ثم ضعف.

وكثيرا (ما يصيب الدلالة بعض الانهيار أو الضعف ، فتراها تفقد شيئا من أثرها في الأذهان، أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التي تنال من المجتمع الاحترام والتقدير، فهناك ألفاظ تبدأ حياتها بأن تعبر في قوة عن أمر شنيع أو فظيع، حتى إذا طرقت الآذان فزع المرء لسماعها، وأحس أنها أقوى ما يعبر عن تلك الحال، ثم تمر الأيام وتشيع تلك الألفاظ، ويكبر تداولها بين الناس، وهم عادة مشغوفون في كلامهم بالإسراف والمغالاة، يستعملونها في مجال أضعف من مجالها الأول رغبة منهم في أن يحيطوا معانيهم بحالة من القوة لا مبرر لها في الحقيقة ، وهنا تنهار القوة التي في الدلالة الأولى، ويصبح اللفظ بعد شيوعه مألوفا لا تخيف دلالته ولا تفزع لها النفوس.

ويشبه هذا ما نسمعه في بعض لهجات الخطاب حين تستعمل كلمة (القتل والقتال) في الشجار حتى مع ضعف شأنه ونتائجه، وكذلك كلمة (الكرسي) استعملت في القرآن الكريم بمعنى العرش في قوله تعالى:﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِ﴾ (البقرة:255)، غير أن هذه الكلمة أصبحت الآن تطلق على (كرسي) السفرة، وكرسي المطبخ.

---

[1] دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 155.

وهناك ألفاظ أخرى تصيبها الخِسَّة بعد الرفعة، وتفقد الاحترام الذي كان لها في المجتمع، وأكثر ما يكون هذا في الألقاب الدنيوية كلفظ (أفندي) حين تقارن حالها في أواخر القرن التاسع عشر بحالها في منتصف القرن العشرين.

وقد كان الحاجب (الحاجب) في الدولة الأندلسية بمثابة رئيس الوزراء، ورأينا آنفا ما أصاب كلمة (الوزير) العربية حين أصبحت في الإسبانية لا تعني سوى شرطي.

كما رأينا أن (طول اليد) قد وردت في الحديث الشريف بمعنى السخاء والجود حين قالت للنبي نساؤه: أَيُّنَا بِكَ أَسْرَعُ لُحُوقًا فَقَالَ: أَطْوَلُكُنَّ يَدًا، والكلمة كما هو معروف لنا جميعا تستعمل الآن على الألسنة، وفي لهجات الخطاب بمعنى السرقة.) [1]

المشتـــرك اللفظـــي:

(هو اللفظ الواحد الذي يخرج إلى دلالات متنوعة تختلف باختلاف السياق). [2]

والألفاظ الكثيرة قد تدل على معنى واحد، وكذلك المعاني المتعددة تدل على لفظ واحد، فيطلق اللفظ ويراد به المعاني الكثيرة، ويحدث نتيجة لهذا اللفظ المشترك.

ومما يؤكد ذلك عبارة الفارابي (ت 350هـ) حين قال: (يتبين لنا شبه الألفاظ بالمعاني، ونحاكي بالألفاظ المعاني التي لا تكون بها العبارة، فيتطلب أن يجعل في الألفاظ ألفاظا تعم أشياء كثيرة من حيث هي ألفاظ، كما أن في المعاني معاني تعم الأشياء كثرة المعاني، فتحدث الألفاظ المشتركة، وتكون هذه الألفاظ المشتركة من غير أن يدل كل واحد منها على معنى مشترك). [3]

وعرفه محمد نور الدين المنجد بقوله: (كل لفظ مفرد يدل بترتيب حروفه، وحركاته على معنيين فصاعدا دلالة خاصة، في بيئة واحدة، وزمان واحد.

---

[1] دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 156.

[2] أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، دار المعارف، 1969، مصر، ص69.

[3] كتاب الحروف، الفارابي، ت: محسن مهدي، دار المشرق، 1986، بيروت –لبنان، ص140.

ولا يربط بين تلك المعاني رابط معنوي، أو بلاغي، فَبِاشْتِراطنا اللفظ المفرد يخرج التركيب الإسنادي والإضافي، وبترتيب حروفه يخرج القلب المكاني، وبالدلالة الخاصة تخرج العلاقة بين العام والخاص، وبالبيئة الواحدة يخرج اختلاف اللغات، وبالزمان الواحد يخرج التطور الدلالي الصوتي، وبانتقاء الرابط المعنوي يخرج الاشتقاق من أصل واحد، وبانتقاء الرابط البلاغي يخرج المجاز والاستعارة والتورية، وما شاكل ذلك من الدلالات البلاغية).[1]

وللمشترك اللفظي شروط لابد من توفرها وهي: [2]

أ. يكون اللفظ مفردا.

ب. اتفاقه من الناحية الصرفية والصوتية.

ج. تنوع دلالاته.

د. اتحاد الدلالات في العصر والمكان، فالمصادر قد ذكرت لنا أن لبعض الألفاظ في كل عصر دلالة خاصة تتطور بتطوره، ولكل مكان دلالة تتغير بتغيره.

بينما لوقوع المشترك اللفظي في اللغة العربية أسباب كثيرة تذكر المصادر أهمها: [3]

1- كثرة القبائل:

حيث أن لكل قبيلة لهجة معينة تستعمل مجموعة من الألفاظ تدل على معان معينة، والقبيلة الأخرى قد تستعمل نفس اللفظ وترد به معنى آخر، فيؤدي هذا إلى نشوء الاشتراك.

2-الاقتراض من اللغات المجاورة، كأن تتشابه في نطق الألفاظ، إلا أن معاني الكلمات مختلفة فلكل لغة معنى يختلف عن اللغة الأخرى.

3-تطور الكلمات من الناحية الصوتية يؤدي إلى نشأة الاشتراك اللفظي، فهذا يؤدي إلى تشابه في الألفاظ.

---

(1) الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم، محمد نورالدين المنجد، دار الفكر، ط1 ،1999، دمشق – سوريا، ص37.

(2) المشترك اللفظي في اللغة العربية، عبد الكريم شديد محمد، كلية الآداب، 1979، بغداد – العراق، ص135.

(3) فقه اللغة، على عبد الواحد وافي، دار النهضة، ط7 ،1972، مصر، ص 192.

4-(التشابه في الصيغ الصرفية) كأن يتشابه اللفظ مع آخر تشابها كبيرا في الصيغة، فيكون على صيغة اسم فاعل أو مفعول، ويؤدي إلى تشابه اللفظين، ومنه يكون اللفظ الواحد والمعنى مختلف باختلاف السياق.

5-ومن أسباب نشوء المشترك اللفظي كما تذكر بعض المصادر -كذلك- المجاز، وبعضهم ينكر هذا ويقول: إن المشترك اللفظي يختلف اختلافا كبيرا عن المجاز، ذلك أن المشترك متصل بعلوم اللغة والمجاز متصل بعلوم البلاغة، وذاك المشترك يشمل الصرف والصوت والنحو، أما المجاز فإنه يدخل ضمن الاستعارة والكناية.

وقد اختلف علماء العربية في وقوع المشترك اللفظي في اللغة العربية فبعضم رفض أو ضيق وجوده لكثرة وقوعه، وبعض المعاني قد أطلقت من غير تركيز أو تدقيق، ومنهم الدكتور عالم سبيط النيلي حيث يقول :((يجب التقيد بمعنى اللفظ، ويجوز تغيره عند تغير موقعه في التراكيب التي يرد فيها ذلك اللفظ، أي نكران وقوع المشترك اللفظي في اللغة العربية، وعليه فيبقى اللفظ واحدا مهما تعددت الظروف، ومن العلماء الذين اتجهوا هذا الاتجاه ابن درستويه (ت247هـ) أي رفضه للمشترك، وأكد بعضهم وجوده كالخليل (ت175هـ) وسيبويه (ت180هـ)، والمبرد (ت285هـ)). [1]

والمشترك اللفظي يقابله الوجوه والنظائر، ويكاد يتفقان من ناحية التعريف، فهما يدلان على كثرة المعاني للفظ الواحد، وهذه ظاهرة مهمة في العربية تدل على مرونتها وسرعة تقلبها للمفردات، والذي يستنبط من كتب الوجوه والنظائر والمشترك اللفظي أن الوجوه والنظائر تختص بمفردات القرآن، والمشترك اللفظي يختص ببعض مفردات القرآن ، ومفردات اللغة العربية المستعملة في الحياة العامة.

أما عبد الرحمن مطلك الجبوري فقد ميز في رسالته بين المشترك اللفظي والوجوه قال: (أن ألفاظ المشترك اللفظي لا ترتبط بين معانيها علاقات وثيقة، أما الوجوه فتربط بينهما علاقات وثيقة).[2]

---

(1) النظام القرآني، عالم سبيط النيلي، دار أسامة، ط1 ،1999، عمان – الأردن، ص62.

(2) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، عبد الرحمن مطلك، كلية الآداب، 1986، بغداد – العراق، ص102.

الأضـــــداد :

(تعدّ الأضداد من سنن العرب المشهورة، وذلك بأن يطلق اللفظ الواحد على المعنى وضدّه، نحو لفظ (الجون) الذي يطلق على الأبيض والأسود). [1]

وصنفه البعض بأنه نوع من المشترك لدى أغلب علماء اللغة من قدماء، ومحدثين، باستثناء البعض.

فأمّا اللغويّون القدماء (فمنهم من استوقفته هذه الظاهرة معرّفا بها ومبيّنا لها، كأبي الطيّب اللغوي (ت 351هـ) الّذي قال: أن الأضداد جمع ضدّ، وضدّ كلّ شيء ما نافاه، نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن، وليس كلّ ما خالف الشيء ضدّا له، ألا ترى أنّ القوّة والجهل مختلفان وليسا ضدّين، وإنّما ضدّ القوّة الضعف، وضدّ الجهل العلم، فالاختلاف أعمّ من التضادّ، إذ كان كلّ متضادّين مختلفين، وليس كلّ مختلفين ضدّين). [2]

وتجدر الإشارة إلى أنّه (قد يقع نوع من الخلط بين مصطلح التضادّ وما يسمّى بـ (التقابل بالضدّ) فالبياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن، والجهل والعلم هي ألفاظ متقابلة بالتضادّ وليس من قبيل ما يسمّى بظاهرة (التضادّ)، فالتضادّ يتّسم بوحدة اللفظ وتعدّد المعنى، وقد اختلف اللغويّون القدماء في وجود التضادّ كما اختلفوا في أمر المشترك اللفظيّ، فذهب أكثرهم إلى وجود هذه الظاهرة في لغة العرب، منهم الخليل بن أحمد، وسيبويه، وقطرب (ت203هـ)، وأبي عبيدة (ت213هـ)، وابن السكّيت، وابن الأنباري (ت328هـ)، وأبو الطيّب اللغويّ (ت351هـ)، وغيرهم ، وذهب ابن درستويه إلى إلغائه ووضع كتابا سمّاه (إبطال الأضداد)، فضلاً على أنّ له نصوصاً قوليّة في كتاب (تصحيح الفصيح) تشير إلى إنكاره وجود التضادّ في أصل الوضع.

وقد رأى طائفة من الباحثين إمكانيّة وضع ابن درستويه في مصافّ المعترفين بالتضادّ مستندين في ذلك إلى مقولته بإقراره بورود الشيء القليل من الأضداد لعلل لغوية وأسباب استعماليّة).[3]

ومما يؤيّد ذلك: (أنّ أحد الباحثين رأى أنّ نظرة ابن درستويه إلى التضادّ نظرة تأريخيّة قامت على أساس البحث في أصول الألفاظ في أصل الوضع، وليس فيما آلت إليه نتيجةً لعوامل طارئة عليها، وذهب إلى أنّ ابن درستويه لم يكن منكراً للتضادّ من حيث المنهج الوصفيّ الّذي يقوم على البحث في واقع اللغة وحاضرها، وإنّما كان يقرّ بوجود النادر منها، وأنّ هذا أمر أجمع عليه أغلب

---

[1] فقه اللغة وأسرار العربية، الثعالبي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العراقي، ط1، 2002، العراق، ص289.

[2] الأضداد في كلام العرب، أبو الطيب اللغوي، ج1 ص1.

[3] تصحيح الفصيح، ابن درستويه، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، ط1، 1975، بغداد، ج1ص167.

علماء اللغة قدماء ومحدثين، فلم يكن ابن درستويه منكراً لكلّ ما ورد في اللغة من ألفاظ متضادّة، إنّما أقرّ بوجود القليل منها كما هو عليه في المشترك اللفظي، وحاول ردّ معاني أغلب ما ورد منها من أمثلة إلى أصل دلاليّ واحد، عادّاً إيّاها من باب المجاز، وربّما دفعه إلى ذلك إسراف القدماء وتكلّفهم في عدّ ما ورد من ألفاظ ناتجة عن اختلاف اللهجات من ضمن الأضداد). [1]

أمّا المحدثون فقد اختلفوا في التضادّ كاختلاف القدماء فيه، وانقسموا بين مؤيّد ومنكر له، فأمّا المؤيّدون، فقد عدوه نوعاً من الاشتراك فالدكتور محمّد حسين آل ياسين، نفى وجود علاقة تشابه بين المشترك والتضادّ إلاّ من حيث تعدّد المعنى، مستنداً إلى اختلاف أسباب نشأة كلّ منهما، قال: (ليس بين المشترك والأضداد من التشابه سوى انصراف اللفظة فيهما إلى أكثر من معنى، وبينهما فيما عدا ذلك من عدم التشابه ما بين كلّ منهما وأيّ من الظواهر اللغويّة الأخرى، وذلك أنّ أسباب نشأة الأضداد تختلف تماماً عما هي عليه في المشترك ، ولا تتّفق إلاّ في مسائل قليلة). [2]

أمّا موقف علماء اللغة والمفسّرين من وجود التضادّ في القرآن الكريم، فقد كانوا بين مقرٍّ به ورافض له، إلاّ أنّ أغلب الذين أقرّوه هم من اعترفوا بوجوده في اللغة العربيّة، وما جاء في (تأويل مشكل القرآن) من عدم تجويز ابن قتيبة وقوع التضادّ في القرآن حين قال: (إنّ الاختلاف نوعان: اختلاف تغاير، واختلاف تضادّ. فاختلاف التضادّ لا يجوز، ولست بواجده بحمد الله في شيء من القرآن، غلاّ في الأمر والنهي، والناسخ والمنسوخ، وليس المراد به من التضادّ المعروف بوحدة اللفظ وتعدّد المعنى، إنّما أراد بذلك عدم تناقض ألفاظ القرآن أو تضاربه، ذلك لأنّه تعرّض لظاهرة التضادّ في الألفاظ القرآنيّة ودرسها في عدّة مواضع من كتابه). [3]

حـــروف المعاني :

عني علماء اللغة والنحو والأصول بمعاني الحروف ودلالتها، فبيّنوا القيمة الدلاليّة لهذه الحروف، وأنّ وقوعها في الكلام يدلّ على معانٍ، إذ قال سيبويه: (وأمّا ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل، نحو: ثمّ، وسوف، ولام الإضافة، ونحو ذلك) .[4]

---

(1) التضاد في القرآن الكريم، محمّد نور الدين المنجّد، دار الفكر، ط1، 1999، دمشق، ص 35.

(2) الأضداد في اللغة، محمد حسين آل ياسين، دار المعارف، ط 1، 1974، بغداد، ص 101.

(3) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرح: السيد أحمد الصقر، دار الكتب العلمية، ط3، 1981، بيروت، ص 40.

(4) الكتاب، سيبويه، ج 1 ص 12.

وقد يوضّح ذلك بما قاله الزجّاجيّ: (وحروف المعاني الّتي تجيء مع الأسماء والأفعال لمعانٍ. " أي إنّ الحرف ما دلّ على معنى في غيره، وأنّ معناه يتوقّف على ذكر متعلّقاته. فالحرف وحده لا معنى له أصلا). [1]

وكانت هذه الحروف (موضع خلاف بين النحويّين من حيث التزامها معانيها الأصليّة، وخروجها إلى معان أخر، فذهب الكوفيّون إلى أنّ الحرف الواحد وضع لأكثر من معنى، وجوّزوا نيابة حروف الجر بعضها عن بعض، على حين لم يجز البصريّون ذلك، وعندهم أنّ حرف الجرّ باق على معناه الأصليّ، وأنّ ما خالف الأصل يؤول تأويلاً يقبله اللفظ، وعلى تضمين حدث معنى حدث آخر، أي إنّ وضع الحرف موضع حرف آخر، إنّما هو بسبب تضمين فعل معنى فعل آخر يتعدّى بذلك الحرف، وليست من باب التناوب بين الحروف، فقال سيبويه: اعلم أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدّى بحرف، والآخر بآخر، فإنّ العرب قد تتّسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المضادّ مع ما هو في معناه). [2]

وتتبيّن لنا معاني الحروف فيما يأتي بدءا ببعض معاني حروف الجر ثم معاني حروف العطف:

أولا: دلالة حرف الجرّ

لها معان أصليّة ودلالات، ويجوز تناوبها بعضها عن بعض. ومن حروف الجرّ الّتي نتوقّف عندها:

أ . (من): [3]

وتفيد معنى ابتداء الغاية، ولها معان أخرى منها: أنّه بمعنى (بعض)، ومعنى البدل كما في قوله تعالى:﴿ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً. ﴾(آل عمران:10) وغيرها.

ب . (على):

---

[1] الإيضاح في علل النحو، الزَّجَّاجي، تعليق: مازن المبارك، دار النفائس، ط 4، 1982، بيروت – لبنان، ص 54.

[2] الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1988، بيروت، ج 1 ص498.

[3] شرح اللمحة البدرية، ابن هشام، ت: هادي نهر، مطبوعات جامعة بغداد، ط2، 1977، بغداد، ج2 ص188.

وهو للاستعلاء، وتأتي بمعنى (من) في الآية:﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾(المطففين:2)

ج . (في): [1]

وتفيد الظرفيّة، كما في الآية:﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾(طه: 72)، فهي هنا بمعنى (على) –ما يجيزه جمع – وتأخذ معنى (إلى) كما في الآية:﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ (الأنبياء: 90).

د . (إلى):

وهو يفيد انتهاء الغاية مطلقاً، كما في قوله تعالى:﴿ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ. ﴾(القلم:32) إذ قال: إنّ " (إلى) لانتهاء الرغبة. [2]

وقد تأتي (إلى) بمعنى (مع) في مثل الآية:﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ (المائدة: 6).

هـ . (الباء):

وتفيد الإلصاق، وترد بمعنى (على) كما في الآية:﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ (مريم: 97) بمعنى " بأن أنزلناه على لغتك" وقد قال بذلك طائفة، وحملها آخرون على أصل معناها، وهو الإلصاق [3]، وقد يرد (الباء) بمعنيين هما: السببيّة، والملابسة.

ثانياً: دلالة حروف العطف:

من هذه الحروف الّتي تستوقفنا ما يلي: [4]

1- **الواو**: ويفيد التشريك، أي: " إشراك الثاني فيما دخل فيه الأوّل. "

2 -**أو**: ويفيد معاني متعدّدة منها: الشكّ، والتخيير، والتقسيم، وغير ذلك.

---

[1] تفسير الكشّاف، أبو القاسم بن جارالله الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط3، 1986، بيروت، ج2 ص546

[2] الأصول في النحو، ابن السراج، ج 1 ص 501.

[3] إعراب القرآن، أبو جعفر النحّاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط1، 1988، بيروت، ج3 ص 21.

[4] الأصول في النحو، ج 2 ص 55.

3 -**الفاء**: ويفيد ثلاثة أمور:

أوّلها . الترتيب نحو (قام زيد فعمرو).

ثانيها: التعقيب نحو (دخلت البصرة فبغداد).

ثالثها: السببيّة نحو قوله تعالى:﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. ﴾(القصص: 15)

4 -**ثمّ**:

للتراخي، وتستعمل للتراخي في الرتبة وكذا التراخي الزمانيّ كما في الآية:﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ ﴾ (الفرقان:46)، وقد تدل على المبالغة في سياق التوكيد اللفظيّ، كما في الآية:﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (المدثر: 20.19)

الفـــروق اللغويـّة :

(لا شك أن إظهار الفروق اللغوية بين الألفاظ المتقاربة والمتشابهة في الدلالة، ليس من السهولة بمكان إذ يتطلب موازنة دقيقة بين الاستعمالات اللغوية والمعجمية، ومراعاة السياق والآثار الاجتماعية، وكانت نظرة العرب القدامى إلى هذه الفروق تتسم بالدقة المتناهية في اختيار الألفاظ ذات التشابه في الدلالات والتقارب في المعاني.

وإن اللغة العربية، وهي لغة القرآن الكريم التي حباها الله بمزايا كثيرة ، فهي خصبة الألفاظ، ثرية المعاني، مواكبة للتطور، صالحة للنماء، قابلة للاتساع، ولهذا وزعت بحسب المقامات، فلا يقوم مرادفها، فيما استعمل فيه مقام الآخر، فعلى المفسر مراعاة الاستعمالات، والقطع بعدم الترادف ما أمكن، فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد).[1]

[1] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ص 93.

وهذه الظاهرة لها علاقة وطيدة بالترادف، وإن كان هناك من أنكر الترادف إلا أن بعض اللغويين والمفسرين بينوا الفروق اللغوية بين الألفاظ التي يظن أنها من المترادفات عند الرجوع إلى استعمالات العرب لها، نجد أن لكل لفظة دلالة مستقلة.

وقد ألَّف أبو هلال العسكري كتابه (الفروق اللغوية) لإبطال التقارب والتشابه، ولإثبات الفروق بين الألفاظ التي يدعى ترادفها. وقد بدأ كتابه بعنوان: (باب الإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجبا لاختلاف المعاني في كل لغة، قال فيه: الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني، أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم ، لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صوابا ، فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من العيان في لغة واحدة ، فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر ، وإلا لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه .

وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد، لأن في ذلك تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه). [1]

وعلى هذا (أخذ أهل اللغة يلتمسون فروقا بين الألفاظ التي تبدو مترادفة، ومن ذلك تفريق أبي هلال العسكري بين المدح والثناء، وبين القديم والعتيق، وبين الخلود والبقاء، وبين الحب والود، وبين الإرادة والمشيئة، وبين الغضب والغيظ ...). [2]

وكذلك (تفريق ابن فارس بين الألفاظ بين القعود والجلوس، وبين الرقاد والنوم والهجوع، وبين المضي والذهاب والانطلاق، وبين المائدة والخوان، وبين الكأس والكوب والقدح، وبين الكوب والكوز.... وغيرها). [3]

---

[1] الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1973، بيروت – لبنان، ص 10-11.

[2] علم الدلالة، فايز الداية، ص 219.

[3] الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، ص 96.

وخلص أبو هلال إلى أن الفروق الدلالية تُعرف بطرق كثيرة، منها: [1]

1- اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان اللذان يراد الفرق بين معنييهما، (كالفرق بين العلم والمعرفة، الأول يتعدى إلى مفعولين والأخير إلى مفعول واحد).

2- اعتبار صفات المعْنَيين اللذين يُطلب الفرق بينهما (كالفرق بين الحلم والإمهال، فالحلم لا يكون إلا حسنا، والإمهال يكون حسنا وقبيحا).

3- اعتبار ما يؤول إليه المعنَيان (كالفرق بين المزاح والاستهزاء، فالمزاح لا تحقير فيه، والاستهزاء يقتضي الاحتقار).

4- اعتبار الحروف التي تُعَدَّى بها الأفعال (كالفرق بين العفو والغفران).

5- اعتبار النقيض (الفرق بين الحفظ والرعاية، فنقيض الحفظ الإضاعة، ونقيض الرعاية الإهمال).

6- اعتبار الاشتقاق (كالفرق بين التلاوة والقراءة، أي أن التلاوة لا تكون في الكلمة الواحدة بينما القراءة تكون فيها).

7- ما توجبه صيغة اللفظ من الفروق بينه وبين ما يُقاربُه (كالفرق بين الاستفهام والسؤال، فالاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستقيم، والسؤال يكون عما عُلِم ولم يُعْلَم).

8- اعتبار حقيقة اللفظين أو أحدهما في أصل اللغة، كالفرق بين الحنين والاشتياق.

---

[1] الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص 25.

الفصل الثالث : دراسة تطبيقية –سورة البقرة نموذجا

*سورة البقرة وسبب تسميتها ونزولها وفضلها :

لكل حدث سبب، ولكل واقعة أثر، وكتابنا العزيز لا يخلو من سبب للنزول، وسبب للتسمية وهو ما سنجده بين طيَّات كتب علمائنا في مؤلفاتهم.

***سبب التسمية:**

(أنبأنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أَن تُذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ (البقرة: 67) قال: كان رجل من بني إسرائيل، وكان غنيا، ولم يكن له ولد، وكان له قريب وكان وارثه، فقتله ليرثه، ثم ألقاه على مجمع الطريق، وأتى موسى عليه السلام فقال له: إن قريبي قتل وإني إلى أمر عظيم، وإني لا أجد أحدا يبيّن من قتله غيرك يا نبي الله، قال: فنادى موسى في الناس، فقال: أنشد الله من كان عنده من هذا علم إلا بيَّنه لنا، فلم يكن عندهم علم، فأقبل القاتل على موسى عليه السلام، فقال له: أنت نبي الله فاسأل لنا ربك أن يبيِّن لنا، فسأل ربه فأوحى الله إليه ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أَن تُذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فعجبوا من ذلك، فقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ فَارِضٌ﴾، (البقرة: 68) يعني: لا هرمة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ يعني: ولا صغيرة ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: نصف بين البكر والهرمة ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ (البقرة :69) أي: صاف لونها، ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ أي: تعجب الناظرين، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ ذَلُولٌ﴾ (البقرة:71) أي: لم يذللها العمل ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ يعني: وليست بذلول تثير الأرض ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ يقول: ولا تعمل في الحرث ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ يعني: مسلمة من العيوب ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ يقول: لا بياض فيها ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾، قال: ولو أن القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة، استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها، لكانت إياها، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم، ولولا أن القوم استثنوا فقالوا: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ لما هدوا إليها أبدا. فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التي نعتت لهم إلا عند عجوز عندها يتامى، وهي القيمة عليهم، فلما علمت أنه لا يزكو لهم غيرها، أضعفت عليهم الثمن، فأتوا موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة، وأنها سألتهم أضعاف ثمنها، فقال لهم موسى: إن الله قد كان خفَّف عليكم فشددتم على أنفسكم فأعطوها رضاها وحكمها

ففعلوا، واشتروها فذبحوها، فأمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظما منها فيضربوا به القتيل ففعلوا، فرجعت إليه روحه، فسمى لهم قاتله، ثم عاد ميتا كما كان، فأخذ قاتله وهو الذي كان أتى موسى فشكا إليه فقتله الله على أسوأ عمله) .[1]

*الكلام في نزولها وفضلها وما جاء فيها:

(وهكذا كل سورة إن وجدنا لها ذلك، فنقول سورة البقرة مدنية، نزلت في مدد شتى، وقيل: هي أول سورة نزلت بالمدينة، إلا قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَومًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ (البقرة: 281) فإنه آخر آية نزلت من السماء، ونزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى، وآيات الربا أيضا من أواخر ما نزل من القرآن.

وهذه السورة فضلها عظيم وثوابها جسيم، ويقال لها فسطاط القرآن، قاله خالد بن معدان، وذلك لعظمها وبهائها، وكثرة أحكامها ومواعظها.

وتعلمها عمر رضي الله عنه بفقهها وما تحتوي عليه في اثنتي عشرة سنة، وابنه عبد الله في ثماني سنين.

قال ابن العربي: سمعت بعض أشياخي يقول: فيها ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذوو عدد وقدم عليهم أحدثهم سنا لحفظه سورة البقرة، وقال له: ﴿ اِذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ ﴾ أخرجه الترمذي عن أبي هريرة.

وروى مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ اِقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَة فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ولَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ ﴾، قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة.

وروي أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُم مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَة ﴾ .

وروى الدارمي عن عبد الله قال: ما من بيت يقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان وله ضراط.

وقال: ﴿إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ لُبَابًا وَإِنَّ لُبَابَ الْقُرْآنِ الْمُفَصل﴾. قال أبو محمد الدارمي. اللباب: الخالص.

وفي صحيح البستي عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَمَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ لَيْلًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَمَنْ قَرَأَهَا نَهَارًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ قال أبو حاتم البستي: قوله صلى الله عليه وسلم: لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام، أراد: مردة الشياطين.

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط 2، 1999، الرياض – السعودية، ج 1ص 294.

وروى الدارمي في مسنده عن الشعبي قال: قال عبد الله: من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح، أربعا من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاثا خواتيمها، أولها: ﴿للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ (البقرة: 284).

وفي كتاب الاستيعاب لابن عبد البر: وكان لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من شعراء الجاهلية، أدرك الإسلام فحسن إسلامه وترك قول الشعر في الإسلام، وسأله عمر في خلافته عن شعره واستنشده، فقرأ سورة البقرة، فقال: إنما سألتك عن شعرك، فقال: ما كنت لأقول بيتا من الشعر بعد إذ علمني الله البقرة وآل عمران، فأعجب عمر قوله، وكان عطاؤه ألفين فزاده خمسمائة.

وقد قال كثير من أهل الأخبار: إن لبيدا لم يقل شعرا منذ أسلم، وقال بعضهم: لم يقل في الإسلام إلا قوله: الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا.

وذكر الدارمي في سنن في فضل سورة البقرة قوله:

حدثنا أبو نعيم، حدثنا بشير هو ابن المهاجر، حدثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول: ﴿تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةَ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ﴾ ثم سكت ساعة، ثم قال: تعلموا سورة البقرة، وآل عمران، فإنهما الزهراوان، وإنهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف. وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه القبر كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلا).[1]

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط 2، 1964، القاهرة، ج1ص154.

*المفســـرون البلاغيـــون :

ما من شك أن البلاغة في القرآن الكريم وجه من وجوه التَّحدي، بل هو العلم الملازم والموجود في كل سورة، والقارئ لهذا الوحي الشريف يلمس فيه كنوزا بيانية بديعة جدًّا، لذا عني العلماء بهذا العلم أكثر من غيره، حتى أصبحت جميع المؤلفات منصبة حول هذا الحقل البلاغي الذي تحدى به الله عزوجل الجن والإنس في أن يأتوا بمثل هذا القرآن قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء:88)، وقد شهد بإعجازه أعداؤه، ثم تحداهم بالإتيان بعشر سور من مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: 13)، ثم تحدَّاهم أن يأتوا بسورة من مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ الله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس:38) .

فالقرآن الكريم تشعبت فيه الدراسات، وكانت البلاغة أولها، وكونه فصيحاً بلسان عربي مبين، قال تعالى: ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر:28)، وقد عجزت العرب رغم فصاحتهم بالإتيان بمثله لما فيه من حسن بلاغة وقوة في المعاني وبراعة الألفاظ ودقة التشبيه وحسن ترابط وتسلسل ورغم ذلك كان بلسان عربي بليغ ومبين، قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء: 195).

وقد أعجزت بلاغته فصحاء قريش وخطباءها، فاتهموا محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر ثم سرعان ما رأوا أنه ليس بشعر، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (يس:69)، ثم قالوا إنه ساحر كما فعل الوليد بن المغيرة، فقال تعالى على لسانه: ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾، (المدثر 23-24) ثم قالوا إنه كاهناً تارة ، وتارة اتهموه بالجنون، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُون أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ (الطور29-30)، ومنهم من قال إنه يقول أساطير الأولين قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (القلم: 15) ، كل هذا بكفرهم وعنادهم، وقد استيقنت أنفسهم بأنه من عند الله وعرفوا أنه الحق ولكن الكبر وإتباع الآباء والخوف على الجاه والمكان بين الناس منعهم من قبوله .

ولاستقراء واستخراج عجائب هذا الكلام المنزل، أصبحت معظم الكتب المؤلفة ذات صبغة بلاغية لا غير، ثم صار البلاغيون يؤلفون مؤلفاتهم البلاغية لتكون وسيلة لفهم كتاب الله الكريم.
والمفسرون أنفسهم منذ نشأة التدوين وهم لهم لمسات في هذا الجانب، بل يكاد البعض منهم من يصرف تفسيره للبلاغة فقط.

ولعل أهم المفسرين الذين عنوا بالبلاغة في تفسيرهم هم:

- أبو الحجاج مجاهد بن جبير التابعي رضي الله عنه. (تفسير مجاهد) ت 104هـ.
- أبو الحسن المجاشعي الملقب بالأخفش. (معاني القرآن) ت 215 هـ.
- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري. (لطائف الإشارات) ت 265 هـ.
- أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري. (جامع البيان عن تأويل القرآن) ت 310 هـ.
- أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي. (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) ت 427هـ.
- أبو القاسم برهان الدين الكرماني. (غرائب التفسير وعجائب التأويل) ت 505هـ.
- أبو محمد الحسين بن الفراء البغوي. (معالم التنزيل في تفسير القرآن) ت 510هـ.
- أبو القاسم جار الله محمود بن أحمد الزمخشري. (الكشاف) ت 538 هـ.
- أبو محمد عبد الحق بن تمام بن عطية. (المحرر الوجيز) ت546 هـ.
- نجم الدين بن أبي الحسن النيسابوري. (إيجاز البيان عن معاني القرآن) ت 550هـ.
- أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الواحدي. (الوسيط في تفسير القرآن) ت 468هـ.
- أبو عبد الله محمد شمس الدين القرطبي. (الجامع لأحكام القرآن) ت 671هـ.
- ناصر الدين أبو سعيد الشيرازي البيضاوي. (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ت 685هـ.
- أبو البركات عبد الله حافظ الدين النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ت 710 هـ.
- أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الغرناطي. (التسهيل لعلوم التنزيل) ت 741هـ.
- أبو حيان محمد بن حيان أثير الدين الأندلسي. (البحر المحيط) ت 745هـ.
- محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن القيم الجوزية. (التفسير القيم) ت 751هـ.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. (تفسير القرآن العظيم) ت 774هـ.
- أبو العباس أحمد بن محمد البسيلي. (التقييد الكبير) ت 830هـ.
- أبو السعود العمادي. (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ت 982 هـ.

- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني. (فتح القدير) ت 1250هـ.
- محمد جمال الدين بن قاسم القاسمي. (محاسن التأويل) ت 1332هـ.
- العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس. (مجالس التذكير) 1361 هـ.
- محمد الأمين الشنقيطي. (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) ت 1393هـ.
- محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور. (التحرير والتنوير) 1393هـ.

فهؤلاء بعض من جملة المفسرين البلاغيين ـ رحمهم الله ــ قد اجتهدوا وبينوا وعنوا بالجانب البلاغي في تفسير كلام الله عز وجل، إذ يقول ابن جرير الطبري رحمه في تفسيره الجامع:

(وإذ كانت واضحة صحة ما قلنا –بما عليه استشهدنا من الشواهد، ودللنا عليه من الدلائل– فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لمعاني كلام العرب موافقةً، وظاهرُه لظاهر كلامها ملائمًا، وإن باينه كتابُ الله بالفضيلة التي فضَّلَ بها سائرَ الكلام والبيان، بما قد تقدّم.

فإذا كان ذلك كذلك، فبيِّن –إذ كان موجودا في كلام العرب الإيجاز والاختصار، والاجتزاء بالإخفاء من الإظهار، وبالقلة من الإكثار في بعض الأحوال، واستعمال الإطالة والإكثار، والترداد والتكرار، وإظهارُ المعاني بالأسماء دون الكناية عنها، والإسرار في بعض الأوقات، والخبر عن الخاصّ في المراد بالعامّ الظاهر، وعن العامّ في المراد بالخاصّ الظاهر، وعن الكناية والمراد منه المصرَّح، وعن الصفة والمراد الموصوف، وعن الموصوف والمراد الصفة، وتقديم ما هو في المعنى مؤخر، وتأخير ما هو في المعنى مقدّم، والاكتفاء ببعض من بعض، وبما يظهر عما يحذف، وإظهار ما حظه الحذف– أن يكون ما في كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك، في كلّ ذلك له نظيرًا ، وله مثلا وشبيها) . [1]

بما أنني تطرقت إلى أهم جوانب البلاغة والدلالة، لا بد وأن أعرض الجانب التطبيقي لهذين العنصرين الهامّين، وأجعل حقل القرآن الكريم أعظم بستان لاستثمار هذين العلمين، وأخص بالذكر في القرآن الكريم سورة البقرة.

[1] جامع البيان، ابن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، بيروت – لبنان، ج 1 ص 12.

أولا: التَّقديم والتَّأخير في سورة البقرة :

يعتبر التقديم والتأخير من أهم الأساليب البلاغية، ويرد لعلل أهمها: الخوف من الإخلال ببيان المعنى المقصود، ورعاية الفاصلة، والاهتمام بالأمر المقدم والتعجب والاختصاص، وغيرها.

وهو أنواع شتى، أهمها في سورة البقرة:

ذكر رأفت محمد رائف المصري عنصر التقديم والتأخير فقال:

(ولما كان التقديم والتأخير بهذه الأهمية ، وجدنا أبا السعود رحمه الله يعنى به عناية خاصة ، بحيث لا يكاد القارئ يتصفح ورقتين متتاليتين تخلوان من لطيفة في التقديم والتأخير، تهتز لها النفوس طربا.

فنجده عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة :2) يعلق على سبب تأخير ذكر الجار والمجرور "فيه" على أن حقهما التقدم على متعلقهما، خلافاً لذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 23)، فيقول مبيناً سبب اختلاف النظم في الآيتين :"إلا أنه خولف في الأسلوب –أي في الآية الثانية – حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه، مع نوع إشعار بأن ذلك من جهتهم لا من جهته العلية ، ولم يقصد هنا – أي في الآية الأولى – ذلك الإشعار، كما لم يقصد الإشعار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضي تقدير الظرف ،كما في قوله : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾ (الصافات:47) .

وكذلك يتكلم في أسرار تقديم بعض مذكورات النص وتأخير أخرى ، وأمثلة هذا وفيرة ، منها ما ذكره في تفسير قول الحق سبحانه : ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾(البقرة:26)، حيث يعلق على تقديم ذكر الإضلال على الهداية ، مع كون الأخيرة أشرف حالاً وأرقى رتبة ، فيقول": و قدم الإضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ، ليكون أول ما يقرع أسماعهم من الجواب أمرا فظيعا يسوؤهم ، ويفتّ في أعضادهم " [1]، إذ إن المقام مقام الكلام عن الكافرين : ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ

[1] تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي، دار الكتب العلمية، ط1، 1999، بيروت – لبنان، ج1 ص 101.

كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة:26) .

لما تكلم (في تفسير قول الله : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 29) ، نجده لم يغفل سر تقديم الأرض على السماء ، بل علل ذلك بأن تأخير ذكر السماء على أنها أقوى دلالة على كمال القدرة الباهرة ، إلا أن الأرض قد نيط بها من المنافع ما لم ينط بالسماء بالنسبة إلى بني البشر، وقد تعلقت بها مصالحهم بأظهر مما تعلقت بأختها، فكان من الأنسب و الأليق أن يقدم ذكر الأرض على السماء). [1]

ومثله –أيضا– ما ذكره في تفسير قوله سبحانه: ﴿أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (البقرة: 77)، إذ نراه يقف مع تقديم الإسرار على الإعلان فيعلله، بقوله: "و إنما قدم الإسرار على الإعلان للإيذان بافتضاحهم، ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر، و المبالغة في بيان علمه المحيط لجميع المعلومات، كأن علمه بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه، مع كونهما في الحقيقة على السوية فإن علمه سبحانه وتعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها، بل وجود كل شيء في نفسه علم لله تعالى "..

ثم بعد هذا الجواب الدقيق نرى أبا السعود يردف بجواب آخر، ينبئ عن شدة دقة ملاحظته، وعمق نظراته، فيقول:" ويجوز أن يكون ذلك باعتبار أن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن "، إذ ما من شيء إلا ويمر بحالين: الأول: الإضمار في النفس وانعقاد القلب عليه، وهذا يتعلق به الإسرار غالباً والثاني: البروز إلى العلن، والأولى متقدمة زماناً على الثانية، فقدمت في النص.[2]

فهذه إشارات لطيفة لما للتقديم والتأخير من أهمية بالغة، ولا تكاد تخلو سورة من هذا العنصر المهم من عناصر البلاغة.

و التقديم والتأخير لهما أغراض كثيرة، لعل أبرزها:

أ –العلة والسببية:

في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: 32) وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة: 222)، فالعلم سبب الحكمة، والتوبة سبب الطهارة.

ب –الرتبـــة:

---

[1] المصدر نفسه، ج1 ص 106.

[2] المصدر نفسه ج1 ص 153.

(كتقديم سميع على عليم في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة: 137)، وقوله تعالى: ﴿ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 224)، " فبدأ بالسمع لتعلقه بالأصوات، وإن من سمع حَسَّكَ، فقد يكون أقرب إليك في العادة ممن يعلم، وإن كان علم الله تعلق بما ظهر وما بطن).

ومثل تقديم غفور على رحيم فغرضه الرتبة كذلك " فإن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة "، وورد هذا التقديم كذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة :173) وفي قوله تعالى: ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة: 218)). [1]

يقول فاضل السامرائي: (وأما الرحمة فأمر عام تعم المكلفين وغيرهم ، فهي كما تشمل المكلفين تشمل البهائم وسائر الأحياء الأخرى ، فلما كان ما تقدم الآية أمرا عاما قدم الرحمة التي هي أعم من المغفرة ، ولما أخر ذكر المكلفين أخر المغفرة لأنها تخصهم ، يدلنا ذلك على أن جميع المواطن التي تقدم فيها اسم الغفور على الرحيم تقدم ذكر المكلفين و ذلك نحو قوله تعالى :﴿ فَمَنِ اُضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة : 173) ، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(البقرة: 199) .). [2]

ج –الاختصاص

(وردت شبه الجملة " عَلَى كُلِّ شَيْءٍ " مقدمة على المسند في جميع المواضع، وكان المسند دائما صفة من صفات الله وهي التالية كـ "القدير" في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(البقرة: 20) وغيرها من الآيات، وكالعليم في قوله تعالى:﴿ واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 282).

وتقديم " إليك " في قوله تعالى:﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: 285).

والتقديم في المواضع السابقة يفيد الاختصاص، أي أن الله وحده هو الذي يختص بقدرته على كل شيء، وهو الذي يختص بعلمه كل شيء وإليه المبدأ والمصير.

كما أفاد تقديم شبه الجملة " عَلَى كُلِّ شَيْءٍ " الحصر مع العلو والقهر، فما من ذرة في السماوات والأرض ولا أكبر ولا أصغر إلا والله قادر عليها وعليم بها وإليه مصيرها ومردُّها، لذلك جاء الوصف المؤخر " عليم، قدير" للمبالغة في وصف قدرته بالعظمة والعلم والقوة وبلوغها أعظم ما يكون، وأفادت الجمل الاسمية الدوام والاستمرار لهذه الصفة العظيمة.

---

[1] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص 780.

[2] من أسرار البيان القرآني، فاضل السامرائي، دار الفكر، ط1، 2009، عمان – الأردن، ص 139.

ووردت شبه الجملة " بما تعملون " أو " بما يعملون" كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة:110)، وقوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة: 233)، وقوله تعالى: ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(البقرة :271)، وقوله تعالى: ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:283).

فكل هذه الآيات تقدم فيها " بما تعملون " لأنها كانت جميعا في العمل، أي تبرز أهمية العمل، ولكن هذا ليس مطلقا، فقد نجد أخرى تأخرت فيها شبه الجملة " بما يعملون"، وذلك بحسب ما يقتضيه السياق، فإذا كان السياق في العمل قدم العمل، وإذا لم يكن السياق في العمل، أو إذا كان السياق على الله وليس على الإنسان وعلمه قَدَّم صفته). [1]

ما قدمت كلمة أو جملة أو أخرت في كتاب الله إلا لحكمة علمت بعلم العلماء، وأخرى لا يعلم غرضها إلا العليم الخبير.

والتقديم والتأخير في السورة على أنواع وهو ما سنراه في الآيات التالية:

* **تقديم الجار والمجرور على العامل:**

وهو أكثر أنواع التقديم في هذه السورة، إذ ورد العامل متأخرا في مواضع كثيرة، وقد يكون فعلا أو اسما عاملا عمل الفعل بشروط كأسماء الفاعل أو المفعول أو صيغ المبالغة، ومن صور مجيء العامل فعلا:

- (﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة: 3)، والتقدير: وينفقون مما رزقناهم، قال الألوسي: وإنما قدم سبحانه وتعالى المعمول اعتناء بما خول الله تعالى العبد، أو لأنه مقدم على الإنفاق في الخارج، ولتناسب الفواصل).[2]

- (﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة: 4) وتقديره: وهم يوقنون بالآخرة، قال الزمخشري:" وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم، تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك). [3]

وقد يكون العامل اسما، ومنه:

---

[1] من أسرار البيان القرآني، فاضل السامرائي، ص 132.

[2] روح المعاني الألوسي ج 1 ص 118.

[3] الكشاف الزمخشري ج 1 ص 42.

ـ أ ـ قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: 39)، خالدون: اسم فاعل يعمل عمل الفعل اللازم ويتعدى بحرف الجر، يقال: خلد في المكان: أقام فيه إقامة دائمة، وقدم الجار والمجرور لتحديد الجهة وصرف الذهن عن غيرها.

ـ ب ـ وقال تعالى أيضا:﴿ ونَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (البقرة: 128) عابدون: اسم فاعل يعمل عمل فعله وتعدى بحرف الجر إلى المفعول المقدم في " له "، وبذلك أفاد اختصاص الله تعالى وحده بالعبادة.

وقد يكون العامل صيغة مبالغة، ومن ذلك:

ـ أ ـ قوله تعالى: ﴿ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (البقرة :271).

ـ ب ـ وقال أيضا: ﴿ واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 282).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة:19) رتبت الجملة على الأصل من المبتدأ والخبر ومعمول الخبر.

وقوله تعالى: ﴿ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (البقرة :207)، وهذا التقديم قال فيه أكثر البلاغيين إنه يفيد الاهتمام والاختصاص.

*** تقديم شبه الجملة الواقع خبرا على المبتدأ:**

(من ذلك قوله تعالى:﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم وعَلَى سَمْعِهِمْ وعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(البقرة: 7).

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (البقرة: 90).

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 104).

وقوله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة: 114).

وقد ورد المبتدأ المؤخر في هذه الآيات منها نكرة موصوفة، والنكرة الموصوفة يجوز الابتداء بها وتقدمها في تركيبها، وتأخير شبه الجملة الواقع خبرا أو الخبر عموما، ذلك أن الوصف يقرب النكرة من المعرفة، وقد ورد ذلك في السورة نفسها وهو ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ومَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾ (البقرة: 263)، ولكن القرآن الكريم أخرها في المواضع السابقة للدلالة والإيقاع معا حيث يريد إثبات العذاب للكافرين واختصاصه بهم، واختصاصهم به من خلال التقديم). [1]

*** تقديم الظرف على عامله:**

[1] فواصل الآيات القرآنية، السيد خضر، مكتبة الآداب، ط 2، 2009، القاهرة – مصر، ص 174.

ورد ذلك في موضع واحد في السورة هو:﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة:88).

قال العكبري: (" قليلا": منصوب صفة لمصدر محذوف، وما زائدة، أي: فإيمانا قليلا يؤمنون، وقيل: صفة لظرف، أي: فزمانا قليلا يؤمنون). [1]

* **تقديم المفعول به:** وقد ورد ذلك في موضعين:

ـ (أ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُم يَظْلِمُونَ ﴾(البقرة: 57)، ومفاده الاختصاص.

ـ ب ـ قوله تعالى: ﴿ وَاشْكُرُوا اللهَ إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة: 172) ولو تأخر الضمير " إياه " الواقع مفعولا لصار ضميرا متصلا " تعبدونه "، فلما جعله منفصلا قدمه لمزيد الاختصاص، أي اشكروا له وحده إن كنتم تخصونه بالعبادة، فالتقديم حاصل في تقديم إياه لإفادة الاختصاص، لأنه سبحانه مختص بأن يعبدوه). [2]

ثانيا: المشترك اللفظي:

أهم الإشارات إلى هذا الموضوع، يراد به الوجوه والنظائر، وعليه فذكر بعض الشواهد على سبيل المثل والدراسة لا على سبيل الحصر.

- **الإتباع:**

معناه لغة: قال ابن فارس: (التاء والباء والعن أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيء، وهو التلو والقفو). [3]

قال ابن الجوزي: (الأصل في الاتباع: أن يقفو المتبِع أثر المتبَع بالسعي في طريقه). [4]

وقال ابن منظور:(تبعت الشيء تُبوعاً: سرت في أثره، فيكون معنى الاتباع في اللغة: اقتفاء الأثر). [5]

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَئِن أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ (البقرة: 145). أي: (ما صلُّوا إلى قبلتك، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ (البقرة: 145) أي: بِمُصَلٍّ إلى قبلتهم. ﴿وَمَا بَعِضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ (البقرة: 145) أي: بمُصَلٍّ إلى قبلة بعض، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن اتَّبَعْتَ

---

[1] إملاء ما من به الرحمن، العكبري، ت: إبراهيم عوض، مكتبة مصطفى البابي، ط1، 1961، مصر، ص 57.

[2] إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش، دار الإرشاد، ط 4، 1994، حمص –سوريا، ج 1 ص 243.

[3] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة تبع.

[4] نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم، مؤسسة الرسالة، ط1، 1984، بيروت – لبنان، ص147.

[5] لسان العرب، ابن منظور، مادة تبع.

أَهْوَاءَهُم مِن بَعْدِ مَا جَاءَ من الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 145) أي ولئن صلَّيت إلى قبلتهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذن لمن الظالمين، فالمراد بالاتباع في هذه الآية: الصلاة إلى القبلة، وقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوْاْ مَا تَتْلوا الشَّيَاطينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾(البقرة: 102)، أي: عمل اليهود بما تتلوا الشياطين).[1]

- **الإثم:**

قال ابن فارس: (الهمزة والثاء والميم تدل على أصل واحد وهو البطء والتأخر... والإثم مشتق من ذلك، لأن ذا الإثم بطيء عن الخير متأخر عنه). [2]

وقال الراغب الأصفهاني: (الإثم والأثام اسمٌ للأفعال المبطئة عن الثواب). [3]

وقال ابن الجوزي: (الإثم هو الذنب والوزر في المعصية، قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: 182) المراد بالإثم هنا: الخطأ). [4]

وهذا القول استوقف الإمام ابن جرير الطبري وقال فيه نظر، إذ (إن الجنف هو الخطأ، والإثم تعمد الخطأ). [5]

وقال تعالى: ﴿فَمَنَّ تَعَجلَ فِي يَوْمَيْن فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ . (البقرة: 203)، المراد بالإثم هنا: الذنب.

- **الأمر:**

قال ابن فارس: (الهمزة والميم والراء أصول خمسة: الأمر من الأمور، والأمر ضدُّ النَّهي، والأَمَر النماء والبركة بفتح الميم، والمعلم، والعجب).[6]

وقال الراغب الأصفهاني: (الأمر الشأن، وجمعه أمور، ومصدر أمرته إذا كلفته أن يفعل شيئاً، وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها، قال ابن منظور: (الأمر: نقيض النهي).

وقوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ (البقرة: 109). المراد بالأمر هنا: قتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير). [7]

---

[1] الوجوه والنظائر، الدامغاني، ت: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، ط3، 1980، بيروت، ص 62.

[2] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة أثم.

[3] المفردات في غريب القرآن، الحسين الأصفهاني، ص 10.

[4] نزهة العين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، ص 147.

[5] جامع البيان في تأويل القرآن، الإمام ابن جرير الطبري، ج 2 ص 131.

[6] معجم مقاييس اللغة، مادة أمر.

[7] المفردات في غريب القرآن، ص 147.

وفي قوله قال تعالى:﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون﴾(البقرة: 117) قال الدامغاني: (والمراد بالأمر هنا: خلق عيسى –عليه السلام). [1]

وقوله هذا –رحمه الله–فيه نظر، إذ إن كلمة (أمرًا) عام، ولا دليل على تخصيصه.

قال الرازي: (المراد من هذه الكلمة سرعة نفاذ قدرة الله في تكوين الأشياء، وأنه تعالى يخلق الأشياء لا بفكرة ومعاناة وتجربة). [2]

- **الإحاطة:**

قال ابن الجوزي: (الإحاطة: الاستدارة بالشيء من جميع جوانبه، ويقال للبستان حائط، لأنه يجمع كثيرًا من الثمار، وقال ابن الأنباري: لأنه يحوط صاحبه وينفعه قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 119). والمراد بالإحاطة هنا الجمع أي يجمع الله الكافرين يوم القيامة.

﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ (البقرة: 81). المراد بالإحاطة هنا: الإهلاك، أي: أهلكه شركه). [3]

قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾. (البقرة: 255).

قال بعض العلماء: (المراد بالإحاطة في هذا الموضع: العلم، أي: ولا يعلمون بشيء من علمه إلا بما شاء، وهذا ما لا تستريح إليه النفس، لأنه يفضي إلى الترادف، وحتى أقترب من الصواب، أرى لزاما علي أن أستفيد ممّا ما مضى من اللغة، فأقول: إن الإحاطة هنا ليس معناها العلم فقط، إنما معناها العلم بالشيء من جميع جوانبه، ومن الممكن أن أستدل لهذا المعنى بقوله تعالى مخبرًا عن إحاطة الهدهد بشيء من علم الله: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ به وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِين﴾(النمل:22). [4]

- **الاستحياء:**

قال ابن فارس: (الحاء والياء والحرف المعتل (حيي) أصلان: أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة). [5]

---

[1] الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص 147.

[2] مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، ط1، 2000، بيروت – لبنان، ج 2 ص 26.

[3] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص 114.

[4] الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 3 ص 274.

[5] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة حيي.

ذكر ابن كثير قوله تعالى:(﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة: 26)، المراد بالاستحياء هنا: الاستنكاف، أي: إن الله لا يستنكف أن يضرب مثلاً بأي شيء كان صغيرًا أم كبيرًا، ومعنى لا يستنكف: لا يأنف، كما قال مكي ابن أبي طالب القيسي.

وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ ﴾ . (البقرة: 49).

المراد بالاستحياء هنا: الاستخدام أي: يستخدمون نساءكم).[1]

- **الإيذاء:**

قال ابن فارس: (الهمزة والذال والياء أصل واحد، وهو الشيء تكرُهُه ولاّ تَقِر عليه). [2]

ومنه قوله تعالى:(﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِن رَّأْسِهِ﴾ (البقرة:196). المراد بالأذى هنا: القمل، وأخرج الواحدي من طريق عبد الله بن معقل قال: وقفت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد، مسجد الكوفة، فسألته عن هذه الآية: ﴿فَفِدْية مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ (البقرة: 196). قال: حملت إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–والقمل يتناثر على وجهي، فقال: (ما كنت أرى الجهد بلغ منك هذا، ما تجد شاة؟ قلت: لا) فنزلت هذه الآية، قال: (صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام) فنزلت في خاصة، ولكم عامة). [3]

وقال تعالى: (﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: 263) والمراد بالأذى هنا: التطاول والتفاخر على المنفق عليه، والأذى أعمُّ من المنِّ). [4]

- **أدنى:**

قال ابن منظور:(دنا الشيء من الشيء: قرُب). [5]

قال الراغب الأصفهاني: (الدنو: القرب بالذات أو بالحكم، ويستعمل في المكان والزمان والمنزلة). [6]

قال تعالى: (﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ .(البقرة: 61)، المراد بـ (أدنى) هنا: أخس قدرًا ، وقال تعالى:﴿ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىَ أَلاَّ تَرْتَابُوا﴾ (البقرة: 282). أدنى أي: أجدر .[7]

وهذا المعنى قريب من الأصل اللغوي، فيكون المعنى: وأقرب إلى عدم الارتياب.

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 1 ص 68.

[2] معجم مقاييس اللغة، مادة أذى.

[3] فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، 1973، بيروت – لبنان، ج 4 ص 483.

[4] روح المعاني، الألوسي، تحقيق: على عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، ط1، 1994، بيروت –لبنان، ج 3 ص 33.

[5] لسان العرب مادة دنا.

[6] المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص 172.

[7] جامع البيان، الطبري، ج 1ص 352.

- **أُمَّـــــة:**

قال ابن فارس: (الهمزة والميم أصل واحد، يتفرع منه أربعة أبواب، وهي: الأصل، والمرجع، والجماعة، والدين، وهذه الأربعة متقاربة). [1]

وقال الراغب الأصفهاني: (الأم: بإزاء الأب وهي الوالدة القريبة التي ولدته، والبعيدة التي ولدت من ولدته، ولهذا قيل لحواء هي أمنا وإن كان بيننا وبينها وسائط، ويقال لكل ما كان أصلاً لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أم ّ، قال الخليل: كل شيء ضم إليه سائر ما يليه يسمى أُمًّا). [2]

قال تعالى:(﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (البقرة: 128)، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَت﴾ (البقرة: 134). المراد ب (أمة) فِي الآيات الثلاث: الجماعة.

وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران :110)، قال تعالى: ﴿ وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ (البقرة:134). (المراد ب(أمة) في الآيتين: أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– على وجه الخصوص، وقال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (البقرة: 213). المراد بـ(أمة): ملة، قال الألوسي: أي كانوا متفقين على التوحيد، مُقِرِّين بالعبودية حين أخذ الله عليهم العهد). [3]

- **الإمساك:**

قال ابن منظور:(أمسك الشيء: حبسه). [4]

قال ابن فارس: (الميم والسين والكاف، أصل واحد صحيح يدل على حبس الشيء). [5]

قال تعالى: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحسَانٍ﴾ (البقرة: 229). المراد بالإمساك: الإبقاء.

قال القرطبي: (والإمساك: خلاف الإطلاق. وقال تعالى:﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ويُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ . (البقرة: 256)

المراد بالإمساك هنا: الثبات. ومعناه هنا أنه بالغ في التمسك بها والثبات عليها). [6]

- **الاعتداء:**

---

[1] مقاييس اللغة، ابن فارس مادة أم.

[2] المفردات في غريب القرآن، ص 22.

[3] روح المعاني، الألوسي، ج2 ص 100.

[4] لسان العرب، ابن منظور، مادة مسك.

[5] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة مسك.

[6] الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج 3 ص 130.

قال ابن فارس: (العين والدال والحرف المعتل أصل واحد صحيح يدل على تجاوز في الشيء وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه.

قال تعالى: ﴿ فَمَنِ اِعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: 194)، المراد بالاعتداء في صدر الآية الظلم، أما لفظ الاعتداء الذي بعده فاعتدوا عليه، فلا شك أنه ليس ظلما، ولكن الله سبحانه سماه اعتداءً لما يحمله فعل الأمر هنا بهذا اللفظ من التهييج على دفع الاعتداء، فهو أبلغ مما لو قيل فمن اعتدى عليكم فادفعوا اعتداءه بمثل ما اعتدى عليكم.

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُوَدَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (البقرة: 229)، والمراد بالاعتداء هنا: التجاوز. [1]

- **البعث:**

معناه لغة: قال ابن فارس: (الباء والعين والثاء أصل واحد، وهو الإثارة). [2]

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِن بَعْدِ مَوتِكُمْ﴾ (البقرة: 56)، وقال تعالى:﴿ فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ (البقرة: 259).

(المراد بالبعث في الآيتين: الإحياء. وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ ﴾ (البقرة: 129)، المراد بـــ (ابعث): أرسل، فالبعث هنا يراد به الإرسال.

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالوا لنَبِيٍّ لَهُم ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً ﴾ (البقرة: 246)، المراد بالبعث هنا: التعيين، أي: عيِّن لنا مَلِكاً). [3]

- **البيع:**

لغة: قال ابن فارس: (الباء والياء والعين أصل واحد، وهو بيع الشيء، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (ولَا يَبِعْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ إِلَّا بِإِذْنِه)، قالوا: معناه: لا يشترِ على شِرى أخيه. [4]

قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ والْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . (البقرة: 245) المراد بالبيع هنا: الفداء.

وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ (البقرة: 275).

المراد بالبيع هنا: عقد المعاوضة وعليه قوله: ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ (البقرة: 282).[1]

---

[1] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة عدو.

[2] المصدر نفسه ، ص 140.

[3] مفاتيح الغيب، الرازي، ج 2 ص 503.

[4] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة بيع.

- **البلاء:**

قال ابن فارس: (الباء واللام والواو والياء أصلان، أحدهما: إخلاق الشيء، والثاني: نوع من الاختبار، ويحمل عليه الإخبار أيضا، فأمّا الأول فقال الخليل: بَلِيَ يبلى فهو بالٍ، والبِلَى مصدره، وإذا فتح (أي: البَلَى) فهو البلاء... وأنشد:

والمرءَ يُبليه بَلاءُ السربال مرُّ الليالي واختلاف الأحوال

وأما الأصل الآخر فقولهم: بُلي الإنسان وابتُلي، وهذا من الامتحان، وهو الاختبار، وقال: بُليت وفقدان الحبيب بلية، وكم من كريم يُبتلى ثم يصبر، ويكون البلاء في الخير والشر، والله تعالى يُبلي العبد بلاء حسنا وبلاء سيئا، وهو يرجع إلى هذا، لأنه بذلك يُختبر في صبره وشكره). [2]

قال تعالى: ﴿ وَفِي ذِلكُم بَلاءٌ من رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة: 49). المراد بالبلاء هنا (مشترك بين معنيينِ متضادين هما:

النعمة والنقمة، فإن كان المشار إليه بـ (ذلكم) الإنجاء، المذكور في أول الآية: ﴿ إِذْ نَجَّيْنَاكُم مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ يكون المراد بالبلاء: النعمة، وإن كان اسم الإشارة (ذلكم) عائِدًا إلى السوم: ﴿ يسُومُوَنَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ﴾ ، فيكون المراد بالبلاء: النقمة). [3]

وقال أبو حيان الأندلسي :(وَفِي ذَلكُم بَلاءٌ، هو إشارة إلى ذبح الأبناء واستحياء النساء، وهو أقرب مذكور، فيكون المراد بالبلاء الشدة والمكروه.

وقال تعالى: ﴿ و إِذِ اِبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكِلِمَاتٍ فَأَ تَمَّهُنَّ ﴾ (البقرة:124).

وقال تعالى: ﴿ وَلنَبْلُوَنكُمْ بِشَيْءٍ منَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ ﴾ (البقرة:155) المراد بالابتلاء في الآيتين: الاختبار).[4]

- **البَسط:**

لغة: قال ابن منظور:(البسط: نقيض القبض).[5]

---

[1] نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، ص 195.

[2] معجم مقاييس اللغة، مادة بلو.

[3] جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 1ص 313.

[4] الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص 124.

[5] لسان العرب، مادة بسط.

قال ابن فارس: (الباء والسين والطاء أصل واحد، وهو: امتداد الشيء في عرض أو غير عرض. فالبساط: ما يبسط، والبساط: الأرض، وهي: البسيطة...ويد فلان بِسْط، إذا كان منفاقا. والبسطة في كل شيء: السعة، وهو بسيط الجسم والباع والعلم، ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ والْجِسْمِ ﴾ (البقرة: 247). [1]

قال تعالى: ﴿ وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ﴾ (البقرة: 245)، والمراد: يوسع.

وقال تعالى: ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسِمِ ﴾ (البقرة: 247) والمراد: فضيلة في العلم والقوة.[2]

- **البأس:**

لغة: قال ابن فارس: (الباء والهمزة والسين أصل واحد: الشدة وما ضارعها، فالبأس: الشدة في الحرب، ورجل ذو بأس وبئيس أي: شجاع...والبؤس: الشدة في العيش). [3]

وقال الراغب الأصفهاني: (البؤس والبأس والبأساء الشدة والمكروه، إلا أن البؤس في الفقر والحرب أكثر، والبأس والبأساء في النكاية). [4]

قال تعالى: ﴿ والصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وحِينَ الْبَأْسِ ﴾ (البقرة: 177)، المراد بالبأساء:(الشدة النازلة، والمراد بالبأس: الشدة في القتال، وأكثر المفسرين على أن البأساء هي الفقر.

وقال تعالى: ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾ (البقرة: 214) المراد بالبأساء: شدة الحاجة والفاقة).[5]

- **البـــــر:**

لغـة: قال ابن فارس :(الباء والراء في المضاعف (برّ) أربعة أصول: الصدق، وحكاية صوت وخلاف البحر، ونبت، فأما الصدق فقولهم: صدق فلان وبر، وبرّت يمينه: صدقت، وأبرها: أمضاها على الصدق، وتقول: برّ الله حجك وأبره، وحَجة مبرورة، أي: قبلت قبول العمل الصادق، ومن ذلك قولهم: يبَر ربَّه، أي: يطيعه، وهو من الصدق... ومنه قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ (البقرة: 177)).[6]

(قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ . (البقرة: 44). وقال تعالى: ﴿ لَيسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ . (البقرة: 177). المراد بالبر في الآيتين: التقوى.

---

[1] معجم مقاييس اللغة، مادة بسط.

[2] الوجوه والنظائر، ص 128.

[3] معجم مقاييس اللغة، مادة بأس.

[4] المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص 66.

[5] جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 2ص 353.

[6] معجم مقاييس اللغة، مادة بر.

وقال تعالى:﴿ وَلاَ تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (البقرة: 224). المراد بالبر هنا: الصلة).[1]

- **الإبدال:**

قال ابن فارس:(الباء والدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب).[2]وقال الراغب الأصفهاني: (الإبدال والتبديل والتبدل والاستبدال: جعل شيءٍ مكان آخر.قال تعالى: ﴿ وَمَن يَّتَبَدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (البقرة:108) المراد بالتبدل هنا: الشراء، أي: ومن يَشتر.

وقال تعالى: ﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 181)، قال الدامغاني: المراد: فمَن غيَّرَه).[3]

- **التلاوة:**

قال الراغب الأصفهاني: (تلي: تبعه متابعةً... وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء في الحكم... وتارةً بالقراءة أو تدبر المعنى).[4]

قال ابن فارس :(التاء واللام والواو أصل واحد، وهو الاتباع، يقال: تلوته إذا تبعته، ومنه: تلاوة القرآن، لأنه يُتْبَع آية بعد آية). [5]

وفي تفسير ابن كثير (قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ (البقرة: 252)، المراد بالتلاوة هنا: الإنزال.

وقال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ (البقرة :102). المراد بالتلاوة: الرواية، قال مكي بن أبي طالب: ما تروي. وقال تعالى: ﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 121). المراد: يتبعونه). [6]

فالمشترك اللفظي في القرآن الكريم، تتقارب فيه المعاني والدلالات، وهو باد في تفسير الأئمة الأعلام في كتاباتهم، وتفاسيرهم إلى درجة الاتفاق أحيانا.

---

(1) الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص 129.

(2) معجم مقاييس اللغة، مادة بدل.

(3) الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص 134.

(4) المفردات في غريب القرآن، ص 75.

(5) معجم مقاييس اللغة، مادة تلو.

(6) تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، ج 1 ص 175.

ثالثا: التّضـــــاد في سورة البقرة :

لغتنا العربية لغة ثرية لها حلل منوعة كثيرة، يجعلها راقية في بيانها، ومما اتسمت به، وانفردت عنصر التضاد الذي هو نوع من العلاقة بين المعاني، حيث مجرد ذكر معنى من المعاني، دعي ضده في الذهن، وهو ما يجعلني أسلط الضوء وأذكر بعض الأمثلة لهذا الفن في سورة البقرة.

- **بـــــلاء:**

له معنيان متضادان: (يكون نعمة ومنحة، ويكون نقمة ومحنة. قال الله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ (الأنبياء:35)، وقد ورد هذا اللفظ عدة مرات في القرآن الكريم، وست منها بمعنى الاختبار، وهو الأصل في البلاء).[1]

ويتضمن هذا (المعنى العام نعمة ومنحة، ونقمة ومحنة، ثم تسمى العرب الخير بلاء، والشرّ بلاء). [2]

وجاءت فى قول الله تعالى: ﴿ وَفِي ذَلِكُم بَلَاءٌ مِن رَّبِّكُم عَظِيمٌ ﴾. (البقرة: 49) ويفسر المفسرون هذه الآية بمعنيين: كما قال الزمخشري: (البلاء المحنة إن أشير بذلكم إلى صنيع فرعون، والنعمة إن أشير به إلى الانحناء). [3]

وقال الصابوني: (أنها فيما ذكر من العذاب المهين من الذبح والاستحياء، محنة واختبار عظيم لكم من جهته تعالى بتسليطهم عليكم لتميز البرّ من الفاجر). [4]

وأما الطبري يرى (أن البلاء في هذه الآية بمعنى نعمة، وقال: فإنه يعنى: وفى الذي فعلنا بكم من إنجائكم مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون إياكم، على ما وصفت بلاء من ربكم عظيم، ثم عرض الطبري كثيرا من أراء العلماء الذين رأوا أن معناه النعمة).[5]

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ (البقرة: 249).

---

[1] التضاد في القرآن الكريم، محمد نورالدين المنجد، ص 111.

[2] جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ج 1ص 313.

[3] تفسير الكشاف، الزمخشري ج 1ص 279.

[4] صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ط1، 1997، القاهرة، ج 1ص 57.

[5] جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ص 313.

وقال أبو جعفر: (أي إن الله مختبركم بنهر، ليعلم كيف طاعتكم له، فهذه تتضمن البلاء، بمعناها العام الاختبار).[1]

- **زوج:**

له معنيان متضادان (الذكر والأنثى، وزوج فى هذه الحالة يدل على علاقة كل منهما بالآخر، فهو بمعنى القرين، فالرجل سمي بالزوج مضافا إلى قرينه، وكذلك المرأة، فقد استعمل القرآن الكريم هذين المعنيين فى آيات كثيرة، ويعرف اختلاف المعنى المستعمل فيها بالنظر إلى السياق أو القرينة).[2]

وفى سورة البقرة ، فيها ما يدل على معنى الذكر و الأنثى كما في قوله : (﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ (البقرة : 102) ، فمعناه الذكر والأنثى ، لأن السياق فى هذه الآيتين هو سياق العام لكل معنيين ، فلا قرينة فيها التي تدل على خصوص المعنى للذكر أو الأنثى ، وفيها ما يدلُّ على معنى الذكر، كما في قوله تعالى ﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ (البقرة : 230) ، و فيها ضمير متصل التاء فى فعل نكح ليدل على الغائبة ، حتى يلازم أن المراد بالزوج فيها الذكر ، والآخر ما يدل على معنى الأنثى ، ومنها فى الآية قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة : 25) ، والأزواج جمع زوج ، وهي امرأة الرجل ، وقيل مطهَّرة ، فإن تأويله أنها طهّرن من كل أذى وقذى وريبة ، مما يكون فى نساء أهل الدنيا ، من الحيض والنفاس والغائط والبول والمخاط والبصاق والمنيّ ، وما أشبه ذلك من الأذى والأدناس والريب والمكاره).[3]

- **مولـى:**

(يقول الأصمعي: والمولى منعِم، والمولى منعَم عليه، وسبب الضدّية فى هذا اللفظ: لتحسين القبيح، أما فى القرآن الكريم وُجد هذين معنيين.

---

[1] المصدر نفسه ص 631.

[2] علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 206.

[3] جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص 211.

وقال الله تعالى فى آخر سورة البقرة ﴿ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة:286)، أي أنت يا الله ناصرنا ومتولى أمورنا، فلا تخذ لنا وانصرنا على أعدائنا وأعداء دينك، فمعناه هنا المنعِم).[1]

- **نـــحن:**

ويكون نحن (بمعنى الجمع، فهو أصلا، ويكون بمعنى الواحد، وهذا كثر فى القرآن الكريم، ووجد لفظ نحن فى مواضع كثيرة فى سورة البقرة، ومما ورد بمعنى الجمع قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (البقرة :11) وفى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (البقرة: 14) وفي الآية قوله تعالى:﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (البقرة :30) وغيرها.

ومما ورد بمعنى الواحد، قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اُسْجُدُوا﴾ (البقرة: 34) وقوله تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اُسْكُن أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾ (البقرة: 35)، وفي قوله تعالى:﴿ وَقُلْنَا اِهْبِطُوا ﴾ (البقرة: 36)، وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا اِهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ (البقرة:38).

وهذه كلها استعملها الله تعالى فى القرآن الكريم لإخبار عن نفسه بقصد التفخيم والتعظيم). [2]

- **صـــار:**

له معنيان متضادان، (بمعنى جمع وبمعنى قطّع وفرّق، وقد نشأ التضاد عن هذا اللفظ لتطور صوتي، هو القلب، وقال الفراء: لا نعرف صار بمعنى قطع إلا أن يكون الأصل فيه صرى، فقدمت اللام إلى موضع العين، فأصبح صار).[3]

وورد اللفظ في سورة البقرة: ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ (البقرة: 260)، وقال ابن الأنباري: (أن معناه على الضربين: فقال ابن عباس: معناه قطّعهنّ، وقال غيره: معناه ضُمّهن

---

(1) الأضداد، ابن الأنباري، ت: أبو الفضل إبراهيم، دار التراث العربي، ط1، 1960، الكويت، ص217.

(2) المصدر نفسه، ص 201.

(3) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 211.

إليك، فالذين قالوا: معناه قطّعهن، قالوا إلى مقدمة فى المعنى، والتأويل: فخذ أربعة من الطير إليك فصرهنّ، أي قطّعهن). [1]

ووافق الصابوني هذين المعنيين فى تفسير هذه الآية، فقال إن معنى هذه الآية :(خذ أربعة طيور فضمهن إليك، ثم اقطعهن، ثم اختلط بعضهن ببعض حتى يصبحن كتلة واحدة). [2].

- **توّاب:**

وهو اللفظ الذي يقع التضاد فى صيغته الصرفية بمعنى الفاعل والمفعول، والتوّاب له معنيان متضادان: الله كثير التوبة على عباده، والعبد الكثير التوبة إلى الله.

وقد وردت عدَّة آيات في سورة البقرة التي تتضمن فيها لفظ التوّاب بمعناه الأول، فهي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة :37)، وفي قوله تعالى أيضا: ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: 54)، وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: 127)، وفى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: 160)، وكله في معنى واحد فهو الله كثير التوبة على عباده.

وأما الآية التي تدل على لفظ التوّاب بمعناه الثاني فهي الآية من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة: 222). التوّابين هو جمع المذكر السالم من توّاب، أي التوّابين من الذنوب، وهنا بمعنى العباد الكثير التوبة إلى الله، فالتوّاب في السياق الأول بمعنى الفاعل (من يعطِى التوبة)، وفي السياق الثاني بمعنى المفعول (من يعطَى التوبة).

- **ظنّ:**

له معنيان متضادان فى هذا اللفظ: (الشك واليقين الذي لا شك فيه، وورد اللفظ بأحد المعنيين فى السياق، وبمعنى ضده في السياق الآخر، وكان فى سورة البقرة ما ورد بمعنى الشك فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (البقرة: 78)، أي: وما هم إلا يشكون، ولا يعلمون حقيقته وصحته). [3]

---

[1] الأضداد، ابن الأنباري، ص 36.

[2] صفوة التفاسير، الصابوني، ص 166.

[3] جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص 420.

وفى قوله تعالى: ﴿ إِنْ ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ﴾ (البقرة: 230)، أي :(إن كان فى ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية، ولم يقل إن علما أنهما يقيمان، لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله عز وجل، ومن فسَّر الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى، لأن الإنسان لا يعلم ما في الغد وإنما يظن ظنا).[1]

وأما فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلَاقُوا رَبِّهِم ﴾(البقرة: 46)، أي: (الذين علموا ويستيقنون أنهم ملاقو ربهم، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة:46)، أي قال الذين يعلمون ويستيقنون أنهم ملاقو الله، ولفظ الظَّنِّ فى كليهما يدلُّ على يعلمون ويستيقنون). [2]

رابعا: حروف المعاني في ســـورة البقــرة :

(إذا دل الحرف على معنى في غيره يسمى حرف المعنى، وهو ما أطلقه النحويون على هذه الحروف، ولها صلة وطيدة بفهم المعاني واستنباط الأحكام من نصوص القرآن الكريم، بطريق الاجتهاد أو التأويل، لأن كثيراً من القضايا الدلالية والمسائل الفقهية يتوقف فهمها على فهم الدلالة التي يؤديها الحرف في النص، وسميت حروف معان لهذا الغرض، لأنها تصل معاني الأفعال إلى الأسماء، أو لدلالتها على معنى).[3]

وتعتبر من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر في تفسيره، وقد ترد في الاستعمال لأكثر من معنى، فبعضها يستعمل في عشر معان، وبعضها يستعمل في أكثر من ذلك، وبعضها في أقل.

(وهذا التعدد للمعاني إما أن يكون بسبب الاشتراك، وذلك بأن يكون هذا الحرف وضع ابتداءً لهذه المعاني، وإما أن يكون حقيقة في أحدها مجازا للباقي، وإما أن يكون مشتركا في بعضها، أي حقيقة في أكثر من معنى، ويكون مجازا في باقي المعاني.

والناظر في كتب التفسير يرى أثر تعدد معاني هذه الحروف في اختلاف المفسرين، وذلك أن هذا التعدد إما بسبب الاشتراك وإما بسبب احتمال استعمال الحرف في الحقيقة والمجاز).[4]

دلالة حروف المعاني :

---

[1] تفسير الكشاف، الزمخشري، ص 368.

[2] جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ص 637.

[3] أصول السرخسي، ج 1ص 250.

[4] حروف المعاني وأثرها في التفسير، عثمان المهدي، مجلة الشريعة والقانون، العدد 25، جامعة أم القرى – السعودية، ص 61.

في هذا العنصر اقتصرت على حروف الجر وحروف العطف وحروف النصب وحروف الجزم، من هذه السورة الكريمة بالدراسة والتطبيق .

أولا: دلالة حرف الجرّ:

ويقابل هذه التسمية مصطلح حروف الإضافة لدى البعض، ومن حروف الجر مايلي:

1- **من:** [1]

والأصل أنها تفيد معنى ابتداء الغاية، ولكن استخدامها في سياقات مختلفة يوضح أن لها معان أخرى، قد تتباين تقديراتها بين النحاة كالتبعيض والتبيين والسببية، ومن أبرز هذه المعاني:

أ ــ ابتداء الغاية:

ابتداء الغاية الحقيقية المكانية هو أصل معاني من، بحيث لا يكون لها معنى آخر إلا وفيه أثر من معنى الابتداء، وقد تستعمل في ابتداء الغاية الزمانية نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللهِ مِن قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة :91). فكان الكلام موجها لأهل الجحود في ذاك الزمان عن فعلتهم الشنيعة " القتل " لأنبياء الله عليهم السلام.

ب ـ التبيين:

ويراد به تبيين الجنس أو تبيين ما أبهم قبل من أو في سياقها، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة:127)، فقد بينت من هنا ماهية هذه القواعد وأي قواعد هي، وأزالت الإبهام الذي سبقها.

ت ـ التفضيلية:

[1] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد الشريف، مؤسسة الرسالة، ط1، 1996، بيروت، ج1 ص 1040.

ويراد به مقارنة شيء بشيء آخر على سبيل التفضيل خيرا كان أو شرا، وقد يسبقها في السياق اسم من أسماء التفضيل نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (البقرة:114) فـ: مِنْ فضلت من الظَّلَمَة الذي يمنع ذكر الله في المساجد.

ث ـ التبعيضية:

(وهو أخذ شيء من شيء، أي أخذ بعض شيء الثاني، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ﴾ (البقرة: 159)، وقد كان علماء أهل الكتاب يكتمون بعض ما في كتبهم بعدم ذكر نصوصه للناس عند الحاجة إليه أو السؤال عنه).[1]

ج ـ السببية:

وذلك حين تكون من بمعنى اللام، فيكون ما بعدها سببا وعلة لما يراد سياقها نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (البقرة:275)، فسبب تخبط الشيطان للعبد هو أكل الربا عياذا بالله.

2- **في**: [2]

المعنى الأصلي الذي تفيده في هو الظرفية أو الوعائية، أي الاحتواء المكاني أو الزماني، وهذه الدلالة الظرفية قد تكون حقيقية زمانا أو مكانا.

أ ـ الظرفية الحقيقية المكانية أو الزمانية:

وهو أصل معاني في بحيث لا يكون لها معنى آخر، إلا وفيه أثر من معنى الظرفية أو الوعاء، وتدرج هذا الاستعمال الظرفي الحقيقي المكاني إلى استعمال ظرفي حقيقي زماني نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون ﴾ (البقرة: 11)، وهنا تحدث عن مكان الفساد ووعائه، وهو الأرض حقيقة.

---

[1] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1990، مصر، ج 2 ص 40.

[2] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريف، ج 1 ص 751.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاق ﴾ (البقرة :102).

أي أن السحر الواقع الكفري لا ينفع صاحبه في زمن حقيقي وهو الآخرة.

ب ــ السببية:

وذلك حين تكون في بمعنى اللام، فيكون ما بعدها سببا وعلة فيما قبلها، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة:154)، أي أن الجهاد في سبيل الله والاستشهاد سبب في بقاء صاحبه حيا غير ما يظنه البعض.

ت ـ الإلصاقية:

الإلصاق هو المعنى الأصلي للباء، ومن استعمال في بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (البقرة: 210). قوله تعالى: (في ظُلَلٍ، قيل: في بمعنى الباء، أي يأتيهم بظلل، ومنه الحديث: " يأتيهم الله في صورة " أي بصورة امتحانا لهم). [1]

ث ـ الغاية:

بأن تكون في موافقة لمعنى إلى وهو انتهاء الغاية، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾ (البقرة:129). فقوله تعالى (فيهم أي: إليهم، وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولا في الأميين إليهم وإلى سائر الأعجميين من الإنس والجن). [2]

3- **إلى:** [3]

---

[1] تفسير القرطبي، أبو عبد الله القرطبي، ج 3 ص 26.

[2] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 1 ص 316.

[3] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريف، ج 1 ص 321.

يدل هذا الحرف على انتهاء الغاية زمانا أو مكانا، كما قد تكون الغاية معنوية غير محسوسة من حيث الزمان أو المكان ولها معاني أخرى نذكر منها.

أ ـ المصاحبة أو المعية:

وهو ضم شيء إلى آخر ، أو دخول ما بعد إلى فيما قبلها ، نحو قوله تعالى:﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:76) ، جاءت إلى بمعنى مع، أي: خلوة المنافقين من اليهود مع بعضهم البعض ، وقوله تعالى :﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة :187)، فهنا أفادت إلى معنى المعية أي ليلة الصيام يقع الرفث مع النساء (الزوجات) ، وبصحبتهن.

ب ــ انتهاء الغاية:

نحو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ (البقرة:187)، فيه التصريح بأن الصوم ينتهي إلى الليل، وقوله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ (البقرة:285)، " إليه " هنا تعني أن غاية نزول الوحي ومنتهاه كان إلى خير البرية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

4- **باء الجر**: [1]

الوظيفة المعنوية الأساسية لـ (باء الجر) كغيرها من حروف الجر الأصلية هي نقل المعنى الذي يفيده الفعل السابق لها إلى الاسم الذي يليها، ومع هذا المعنى الجوهري هناك معان أو دلالات أخرى كثيرة، تستفاد من خصوصية كل سياق ترد فيه الباء، غير أنني اقتصرت على أهمها:

أ ــ المصاحبة:

وذلك عندما تصلح مع موضع الباء نحو قوله تعالى: ﴿ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (البقرة:105)، (قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يختص برحمته، أي: بنبوته، خصَّ بها محمدا صلى الله عليه وسلم، فالرحمة بما يشاء الجبَّار لصيقة ومصاحبة وهو أعلم بذلك). [1]

---

[1] المرجع السابق، ج 1ص 450.

ب ـ الاستعانة:

وتكون عندما تدخل الباء على آلة الفعل، بحيث يكون ما بعد الباء، هو الآلة لحصول المعنى الذي قبلها نحو قوله تعالى ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (البقرة: 45) أي أن عيسى عليه السلام آتاه الله البينات وقوي وأعين بمعية روح القدس وهو جبريل عليه السلام.

ت ـ التوكيد:

وذلك عندما تكون الباء زائدة نحويا على سبيل الجواز في مواضع معينة، أي يمكن الاستغناء عن وظيفتها النحوية، ومع وجود وظيفة أخرى معنوية لها وهي التقوية والتوكيد نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾(البقرة:267)، (ولستم بآخذيه) أي: (والحال أنكم لا تأخذونه في معاملاتكم في وقت من الأوقات وأتت بصيغة التوكيد).[2]

ث ـ السببية:

حين يكون ما بعد الباء سببا وعلة فيما قبلها نحو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ (البقرة: 264)، ذاك أن سبب بطلان قبول الصدقة من الله عزوجل هو اتباعها بالمن والأذية، والمن: التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطى فيؤذيه.

5- **على**: [3]

المعنى الأصلي الذي تفيده هو الاستعلاء، ومع هذا المعنى هناك معان أو دلالات أخرى كثيرة، تستفاد من خصوصية كل سياق ترد فيه، دون أن يخرج هذا الحرف عن دلالاته الأصلية.

وأبرز هذه المعاني ما يلي:

---

[1] تفسير القرطبي، أبو عبد الله القرطبي، ج 2 ص 61.

[2] المصدر نفسه، ج 2 ص 128.

[3] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريف، ج 1 ص 450.

أ ــ الاستعلاء:

وهو أصل معاني على عند النحاة، بحيث لا يكون لها معنى آخر، إلا وفيه أثر من معنى الاستعلاء، ولهذا اقتصر عليه بعضهم نحو الآية: ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ (البقرة: 260)، فقد تم وضع الأجزاء حقيقة على المكان المأمور وضعه فيه وهو الجبل.

ب ــ الغاية:

بأن تكون على موافقة لمعنى إلى وهو انتهاء الغاية كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ والْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ (البقرة :231)، بتقدير وما أنزل إليكم من القرآن والسنة المطهرة.

ت ـ ظرفية بمعنى في:

وهذه الظرفية قد تكون حقيقية زمانية، أو حقيقية مكانية كقوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ (البقرة:102)، أي في ملك سليمان عليه السلام.

ث ــ السببية:

تكون على بمعنى اللام، فيكون ما بعدها سببا وعلة فيما قبلها، كقوله تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ (البقرة:185)، أي سبب وعلة التكبير يأتي بعد تمام الشهر وهو في غُرَّة شوال.

ج ـ المصاحبة:

وذلك عندما تصلح مع الظرفية الدالة على المصاحبة موضع على، كقوله تعالى: ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ (البقرة:177) أي مع حبّه.

6- مع: [1]

[1] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريف، ج 1 ص 1017.

أداة ظرفية زمانية أو مكانية، معناها المصاحبة، تستخدم لمكان الاجتماع أو زمانه، وما تضاف إليه هو الذي يحدد جهة الظرف، وقد تأتي حالية بمعنى جميعا إذا استعملت مفردة منونة غير مضافة، وقد وردت في سورة البقرة بمعان منوعة، منها:

أ ـ الظرفية المكانية:

نحو قوله تعالى:﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (البقرة:43)، صيغة الأمر للجماعة في مكان الركوع وهو المساجد.

ب ـ الظرفية بمعنى المصاحبة:

نحو قوله تعالى: ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة:146)، أي بصحبة ورفقة المؤمنين.

ت ـ الظرفية بمعنى عند:

نحو قوله تعالى:﴿ وءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُم وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ (البقرة:41) أي ءامنوا بالقرآن الذي هو مصدّق لما عندكم من التوراة.

ث ـ المصاحبة:

نحو قوله تعالى:﴿ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيه ﴾(البقرة: 213)، أي إرسال الرسل كانت بمعية الكتب السماوية.

ثانيا: دلالة حروف العطف: نذكر بعضها وهي:

1- **واو العطف:** [1]

هي أصل حروف العطف، لكثرة استعمالها ودورها فيه، ومعناها الجمع والتشريك، وهي تعطف مفردا على مفرد، وجملة على جملة، فإذا عطفت مفردا فإنها تشرك بينهما في اللفظ والمعنى، ومن بعض معانيها في السورة:

[1]معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريف، ج 1، ص 1146.

أ ـ العطف:

كما في قوله تعالى:﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: 24)، فالواو أفادت عطف الحجارة على الناس في كونهما وقودا النار.

ب ـ محتملة للعطف والاستئناف:

كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:73)، فصحَّ في الواو العطف والاستئناف.

ت ـ محتملة للعطف والحال:

كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة:71)، هنا اعتراف بالحق ولحقوا ذلك بالذبح، وكادوا ألا يفعلوا.

2- **فاء العطف:** [1]

دلالته عطف اسم على اسم، أو فعل على فعل، أو جملة على جملة، وتفيد عدة دلالات ومعان جمة أهمها:

أ ـ الاشتراك:

اشتراك المعطوف مع المعطوف عليه في الحكم، سواء كان الاشتراك من حيث الإعراب أو نوع الجملة أو من حيث المعنى كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (البقرة:164) أي نزول الغيث وإحياء الأرض معًا في آن واحد.

ب ـ الترتيب:

ويكون معنويا على غير مهل، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ (البقرة:58). (فَكُلُوا) الفاء حرف عطف وكلوا عطف على ادخلوا.

---

[1] المصدر نفسه، ج1، ص680.

ت ـ التعقيب:

أي عدم وجود مهلة بين المعطوف والمعطوف عليه نحو قوله تعالى: ﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (البقرة:54)، فالفاء أفادت التعقيب، إذ أن القتل من تمام التوبة في شريعتهم السالفة.

ث ـ الدلالة على السببية:

وذلك غالب في الفاء التي تعطف جملة أو صفة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ (البقرة: 60)، أي ضرب الحجر بالعصا كان سببا في انفجار اثني عشرة عينا.

3- **ثُمَّ**: [1]

حرف عطف، وأحيانا استئناف يفيد التشريك في الحكم والترتيب مع التراخي غالبا، وهي تعطف مفردا على مفرد، وجملة على جملة.

ولها معان أهمها:

أ ـ العطف:

كقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾(البقرة:79)، ثم يقولون عطف على يكتبون.

ب ـ الاستئناف:

كقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:29)، قوله تعالى: (" ثم استوى " ثم لترتيب الإخبار لا لترتيب الأمر في نفسه). [2]

---

[1] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريف، ج 1ص 61.

[2] تفسير القرطبي ج 1 ص 245.

ت ـ الترتيب الذكري:

ويسمى كذلك الإخباري من غير اعتبار التراخي والمهلة. كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة: 199).

ث ـ التراخي بين المعطوفين:

ويكون في التكلم أو الحكم أو في الزمان أو في الرتبة كقوله تعالى: وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة:281)

4- **أو**: [1]

وهو حرف وظيفته العطف، موضوع لأحد الشيئين، مع التباين ويدل عليها سياق الكلام، وقد أورد اللغويون لها مجموعة من المعاني، وفيما يلي ذكر أهمها:

أ ـ التخيير:

تقع أو في حال التخيير بعد الطلب، مثل قوله تعالى: ﴿ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ (البقرة:196) فهنا اختيار الفدية يكون إما من صيام أو صدقة أو نسك.

ب ـ الإباحة:

تقع في حال الإباحة بعد الطلب، وترد في سياق يمكن فيه الجمع بين المتعاطفين، وتكون الإباحة ليس أصله الحظر كقوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ (البقرة :200) أي أنه يباح ذكر الله شبيها بذكر الآباء وإن أراد الزيادة فله ذلك بل وأفضل.

ت ـ الإبهام:

[1] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريف، ج 1ص 433.

وتقع فيه أو في سياق الخبر، والمخاطب في هذه الحال خالي الذهن، ويورد المتكلم كلمة أو في السياق إبهاما للأمر عليه أو صونا عن الخطأ نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ (البقرة:259) فمدة المكث لم يتبيَّنْها عنده.

ث ـ التفصيل:

وهي حالة لا يوجد فيها شك ولا إبهام ولا تخيير ولا إباحة، وتكون لغرض أخبار متباينة، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (البقرة:270)، فـإن كانت النفقة أو النذر فكليهما في علم العليم القدير بلا ريب، وأو هنا لا على سبيل التخيير كما يظن البعض.

ثالثا: دلالــة أدوات الجــزم

1- **لم:** [1]

حرف حزم، لأنها تجزم الفعل المضارع، وحرف نفي لأنها تنفي الحكم سابقا للفعل الذي تدخل عليه، وحرف قلب لأنها تقلب معنى المضارع من الحاضر إلى الماضي.

وهذه المعاني نجدها في سورة البقرة متناثرة هنا وهناك مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة:06) وكقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ (البقرة:196)، وقوله تعالى أيضا: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ (البقرة:249).

2- **لما:** [2]

حرف يشبه لم من حيث وظيفتها النحوية في جزم الفعل المضارع وقلب زمانه من الحال والاستقبال إلى الماضي، ومن حيث معناها في النفي، وهو ما نجده في هذه الآية نحو قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (البقرة:214).

---

[1] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ج 1ص 931.

[2] المصدر نفسه، ج 1ص 938.

و" لما " بمعنى لم، و" مثل" معناه شبه، أي: (ولم تمتحنوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم فتصبروا كما صبروا). [1]

3- **لام الأمر:** [2]

وهي حرف جزم طلبي، يدخل على الفعل المضارع فيجزمه، وحركة هذه اللام هي الكسر، وقد تسكن تخفيفا إذا تقدمها واو العطف أو فاؤه.

وبعضهم يطلق عليها لام الطلب، ليشمل ذلك الأمر والدعاء والالتماس والوعيد والتهديد.

ومثالها في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (البقرة:185).

وقوله تعالى:﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ ﴾ (البقرة:283).

وهو أمر معناه الوجوب، بقرينة الإجماع على وجوب أداء الديون.

4- **لا الناهية:** [3]

حرف طلبي يجزم الفعل المضارع، ويتحقق النهي إذا كان الطلب موجها إلى من هو أدنى درجة، ويكون للدعاء إذا كان من الأدنى إلى الله عزوجل، وللالتماس إذا كان مساو إلى نظيره.

وهي تجزم الفعل المضارع بشرطين:

- ألا يفصل بينهما فاصل إلا شبه جملة.
- ألا تسبقها أداة شرط، فإن سبقت بأداة شرط أصبحت نافية غير جازمة.

والشاهد في قوله تعالى:﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ (البقرة:229).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ (البقرة:102)، فهذين الآيتين سيقتا سياق النهي وعدم الفعل.

---

[1] تفسير القرطبي، أبو عبد الله القرطبي، ج 3ص 34.

[2] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ج 1 ص 817.

[3] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريف، ج1 ص 887.

وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (البقرة:286)، وهنا الدعاء باد في طلب عدم المؤاخذة بالنسيان أو الخطأ.

رابعا: دلالة أدوات النصب :

1- **أن المصدرية:** [1]

حرف مصدري يدخل على الفعل المضارع فيكون حرف نصب واستقبال، ينصب الفعل المضارع، ويخلصه للاستقبال، بعد أن كان للحال والاستقبال.

نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ (البقرة:26)، وكقوله تعالى:﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ (البقرة :233).

2- **لن:** [2]

حرف يدخل على الفعل المضارع، فينصبه ن ويدخله في إطاري النفي والاستقبال، فهو حرف نفي ونصب واستقبال.

نحو قوله تعالى: ﴿ وإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾ (البقرة:61).

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:80).

وكقوله تعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم ﴾ (البقرة:120).

3- **إذن:** [3]

حرف جواب مبني على السكون، يرد أحيانا ناصبا للفعل المضارع، وأحيانا أخرى مهملا غير عامل.

---

[1] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ج1 ص 363.

[2] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريف، ج1 ص 944.

[3] المصدر نفسه، ج1 ص 186.

ولم ترد إذن ناصبة للمضارع في القرآن الكريم، وإنما وردت غير عاملة فكانت جوابا لكلام آخر ملفوظ أو مقدرا، أو جزاءً لشرط مقدر في السياق.

ومن حيث رسمها الإملائي لم ترد في رسم القرآن الكريم إلا منونة.

كي: [1]

حرف مصدري للنصب والاستقبال بمنزلة أن يدخل على الفعل المضارع فينصبه، ولم ترد في سورة البقرة بتاتا.

4- **حتى:** [2]

نحو قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة:119)، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة:187)، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ (البقرة:235)، ((حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتابُ أَجَلَهُ) حرف غاية و جرٍّ، ويبلغ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى) . [3]

5- **لام التعليل:** [4]

تدخل على الفعل المضارع فينصب بأن مضمرة بعدها، وحركة هذه اللام هي الكسر، نحو قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (البقرة:79). (لِيَشْتَرُوا) اللام لام التعليل، ويشتروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا بعد لام التعليل والواو فاعل. [5]

---

[1] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريف، ج1ص 809.

[2] المصدر نفسه، ج1ص 624.

[3] إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش، ج 1 ص 353.

[4] المصدر نفسه، ج1ص 816.

[5] المصدر نفسه، ج 1ص 133.

وكقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ (البقرة:143)، وقوله تعالى: ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ (البقرة:159).

والحاصل أن حروف المعاني في هذه السورة تتعدد وتتنوع بتنوع معاني ودلالات هذه السورة العظيمة الفوائد البديعة المقاصد، فهو الكلام المحكم الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي بدائعه، إذ أن ورود الحروف يضفي روائع البيان في كلام الكريم المنان.

خاتمـــة :

حمدت الله في الأولى وليس لي غير حمده في الثانية حمد الشاكرين وشكر الحامدين وبعد.

فنهاية مشوار كل بحث ودراسة لابد وأن يكلل بخاتمة شاملة، حيث أسفرت هذه المذكرة على نقاط أهمها:

- أن علم البلاغة اهتم بمعنى المادة في الكلمة المفردة، وبمعنى صيغتها، وبالمعاني التي تنشأ من حركات تركيب الكلمات ومواقع الكلمات في الجمل، وبالمعاني التي تتأثر دلالة ألفاظها بالسياق.
- البلاغة في مصطلح النظار من علماء البيان عبارة عن: حسن السبك مع جودة المعاني.
- فروع البلاغة هي: علم المعاني، علم البيان، علم البديع.
- التقديم والتأخير من أكثر المباحث البلاغية، التي نالت اهتمام علماء المعاني، ذلك الاهتمام الذي تجلى في رصدهم لصور التقديم والتأخير المتعددة، وما تؤديه كل صورة من قيمة دلالية، أو تأثيرية، مضافة إلى المعنى الأساسي للعبارة.
- عنصر الفصل والوصل من أهم المدلولات البلاغية، وقد وجد في علوم عدة، كعلم الخط العربي، والنحو، والقراءات وغيرها.
- اهتمام القدماء من النحاة العرب بالعرض للقضايا اللغوية المتصلة بالنكرة والمعرفة، وانتهوا إلى أن النكرة أصل والمعرفة فرع، واهتم علماء البلاغة بهما في ضوء النظر في الأداء اللغوي، لأن التعبير بالنكرة قد يكون أبلغ من التعبير بالمعرفة وربما العكس.
- الإظهار يحسن في موضعه، كما هو الإضمار في موضعه، ولكن الإظهار في موضع الإضمار أتى في القرآن الكريم كثيرا، محققا فوائد عظيمة وصلت به إلى قمة البلاغة، وتسنمت به ذرى الفصاحة وسنامها.
- القصر هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، ويقال أيضا: هو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه.

- لا يكاد يخرج تفكير كل إنسان، وما يريد أن يعبر عنه، وما يجول بخاطره، ويختلجه صدره عن إيجاز أو إطناب أو مساواة، وذلك مراعاة لما يقتضيه المقام، ومراعاة لأحوال السامعين.
- المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع.
- الدلالة هي ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، الذي توحي به الكلمة المعينة، أو تحمله، أو تدل عليه، سواء أكان المعنى عينا قائما بنفسه أو عرضا.
- الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كَلِمٌ مفردة، وأن الفضيلة وخلافها، في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ.
- من مظاهر التغير الدلالي: انتقال الدلالة من العام إلى الخاص، انتقال الدلالة من الخاص إلى العام، رقي الدلالة، هبوط الدلالة.
- المشترك اللفظي قد تدل فيه الألفاظ الكثيرة على معنى واحد، وكذلك المعاني المتعددة تدل على لفظ واحد، فَيطلق اللفظ ويراد به المعاني الكثيرة، ويحدث نتيجة لهذا اللفظ المشترك.
- التضادّ من سنن العرب المشهورة، وذلك بأن يطلق اللفظ الواحد على المعنى وضدّه، نحو لفظ (الجون) الذي يطلق على الأبيض والأسود.
- حروف المعاني ودلالتها جمعها الزجّاجيّ في قوله: "وحروف المعاني الّتي تجيء مع الأسماء والأفعال لمعانٍ. " أي إنّ الحرف ما دلّ على معنى في غيره، وأنّ معناه يتوقّف على ذكر متعلّقاته. فالحرف وحده لا معنى له أصلاً "·
- الفروق اللغوية بين الألفاظ المتقاربة والمتشابهة في الدلالة، ليس من السهولة بمكان، إذ كانت نظرة العرب القدامى إلى هذه الفروق تتسم بالدقة المتناهية في اختيار الألفاظ ذات التشابه في الدلالات والتقارب في المعاني.
- سورة البقرة اشتملت أحكاما كثيرة منوعة، وفيها ألف أمر وألف نهي، وسميت فسطاط القرآن، وذلك لعظمها وبهائها، وكثرة أحكامها ومواعظها، وفضلها عظيم وثوابها جسيم.

- نظرا لما للبلاغة والدلالة على حد سواء من أهمية بالغة فقد ذكرها الكثير من المفسرين في مؤلفاتهم، حتى عدوا من المفسرين البلاغيين كالطبري وابن عطية والقرطبي وابن كثير وغيرهم رحمهم الله أجمعين.
- التغير الدلالي الواقع في سورة البقرة سلطنا فيه الضوء على المشترك اللفظي الذي نجد أهم الإشارات إليه في هذه السورة، ثم بعده التضاد الذي هو نوع من العلاقة بين المعاني، حيث مجرد ذكر معنى من المعاني، دعي ضده في الذهن، وأضفنا عنصر التقديم والتأخير وهو مما لا تكاد تخلو سورة من هذا العنصر المهم من عناصر البلاغة.
- آخر ما ختمت به الجانب التطبيقي حروف المعاني وما لها من جماليات بالغة، وبيان أروع روعة الكتاب العزيز.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وبتوفيقه ومَنِّه تقال العثرات، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة سيد الخلق أجمعين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سلاما وصلاة دائمين إلى يوم الممات وعلى آله وأصحابه ذوي الكرامات.

قائمة المصادر والمراجع:

***القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

أ/المصادر

01- أبو السعود، (محمد بن مصطفى العمادي-ت **982 هـ**)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي ط 4، 1994، بيروت ـ لبنان.

02- أبو الطيب اللغوي، (عبد الواحد الحلبي-ت **351** هـ) ،الأضداد في كلام العرب، تحقيق: عزة حسن، ط2، 1963 دمشق ـ سوريا.

03- أبو بكر الأنباري، (محمد بن القاسم-ت **328** هـ):

- الزاهر في معاني كلام الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1992، بيروت ـ لبنان.

-كتاب الأضداد، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار التراث العربي، ط 1، 1960، الكويت.

04- أبو بكر الباقلاني، (محمد بن الطيب-ت **403 هـ**)،إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط 5، 1997، القاهرة ـ مصر.

05- أبو جعفر الطبري، (محمد بن جرير-ت **310هـ**) ،جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، بيروت ـ لبنان.

06- أبو جعفر النحاس، (محمد بن إسماعيل-ت **338** هـ) ،إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي ، عالم الكتب، ط 1، 1988، بيروت ـ لبنان.

07- الأستراباذي، (رضي الدين-ت **686 هـ**)، شرح الرضي على الكافية، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، ط 1، 2000، القاهرة ـ مصر.

08- الألوسي ،أبو الثناء شهاب الدين (**1270هـ**)، روح المعاني، تحقيق: على عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، ط1، 1994، بيروت ـ لبنان.

09- ابن جني، (أبو الفتح-ت **392** هـ)،الخصائص،تحقيق: محمد علي النجار،دار الكتاب العربي،ط 4، 1955، بيروت ـ لبنان.

10- ابن الجوزي، (أبو الفرج -ت **597** هـ) :

- زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط 1، 2001، بيروت ـ لبنان.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1984، بيروت ـ لبنان .

11- ابن حجر العسقلاني، (شهاب الدين-ت **852**ه) ،فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، 1973، بيروت ـ لبنان.

12- ابن درستويه، (أبو محمد عبد الله-ت **347** ه)، تصحيح الفصيح، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، ط1، 1975، بغداد ـ العراق.

13- ابن السراج، (أبو بكر محمد بن السري-ت **316**ه)، الأصول في النحو، تحقيق: الحسين الفتلين، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1988، بيروت ـ لبنان.

14- ابن العربي، (أبو بكر -ت **543**ه)، أحكام القرآن، تعليق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط 3، 2003، بيروت ـ لبنان.

15- ابن فارس، (أحمد بن الحسين-ت **395** ه)، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: السيد أحمد الصقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1977، القاهرة ـ مصر.

16- ابن قتيبة، (عبد الله الدينوري-ت **276**ه)، تأويل مشكل القرآن، شرح السيّد أحمد صقر، دار الكتب العلميّة، ط3، 1981، بيروت ـ لبنان.

17 - ابن قيم الجوزية، (شمس الدين-ت **751**ه) :

- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام،تحقيق: شعيب الأرناؤوط،عبد القادر الأرناؤوط،ط 2، 1987، دار العروبة ـ الكويت.

- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، ط 1، 1910، مصر.

18- ابن كثير، (عماد الدين أبو الفداء-ت **774**ه)،تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1999، الرياض ـ السعودية.

19- ابن هشام الأنصاريّ، (جمال الدين **761**ه):

- مغني اللبيب، تحقيق: مازن المبارك ومحمّد حمد الله، مؤسّسة الصادق، ط5، 1972، طهران ـ إيران.

- شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية، تحقيق: هادي نهر، مطبوعات جامعة بغداد، ط 2، 1977، بغداد ـ العراق.

20 - ابن يعيش، (ابن علي **643 هـ**)، الشرح المفصل، تقديم: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، 2001، بيروت ـ لبنان.

21 - البيضاوي، (ناصر الدين **691هـ**) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1996، بيروت ـ لبنان.

22- التفتازاني ،(سعد الدين -ت**793 هـ**) ، المطول شرح التلخيص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2001، لبنان.

23- الثعالبي ،(أبو منصور **429 هـ**) ، فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العراقي، ط1، 2002، العراق.

24- الجاحظ ، (أبو عثمان-ت **255 هـ**) ،البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، ط 7، 1999، القاهرة ـ مصر.

25- الجرجاني، (عبد القاهر-ت **471هـ**):

- أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط1991،1، جدة ـ السعودية .

- دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط 2، 1989، القاهرة ـ مصر.

26- جلال الدين السيوطي ، (عبد الرحمن بن أبي بكر-ت **911 هـ**):

- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي، ط3 ،1951، مصر.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، ط 1، 1988، بيروت ـ لبنان.

27- الجويني، (عبد الملك بن عبد الله-ت **478 هـ**)، الكافية في الجدل، تحقيق: توفيق حسن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط 3، 1979، مصر.

28- الحسن المرادي، (أبو محمد بدر الدين-ت **749 هـ**) ،الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط 1، 1992، بيروت ـ لبنان.

29- الخطيب القزويني، (أبو المعالي جلال الدين-ت **739 هـ**.)،:

- الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: علي بو ملجم، دار هلال، ط 2، 1991، بيروت ـ لبنان.

- التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق: عبدالرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي ، ط2، 1932، مصر.
30- الدامغاني، الحسين بن محمد ()، الوجوه والنظائر، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، ط 3، 1980، بيروت ـ لبنان.
31- الرازي،(فخر الدين-ت **606**هـ)،مفاتيح الغيب،دار الكتب العلمية، ط1،2000،بيروت ـ لبنان.
32- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد زغلول سلام ، محمد خلف الله، دار المعارف، ط 3، 1976، مصر.
33- الزجاجي، (أبو القاسم-ت **338** هـ): الإيضاح في علل النحو، تعليق: مازن المبارك، دار النفائس، ط 4، 1982، بيروت ـ لبنان.
34- الزرقاني، (محمد عبد العظيم-ت **1367** هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ط 1، 1995، بيروت ـ لبنان.
35-الزركشي،(بدر الدين-ت **794** هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط 2، 1972، بيروت ـ لبنان.
36- الزمخشري، (جار الله-ت **538**هـ)،أساس البلاغة، تحقيق:محمد باسل،دار الكتب العلمية،ط 1، 1998، بيروت ـ لبنان.
37- السرخسي، (ابن سهل-ت **483**هـ)، أصول السرخسي، تحقيق: أبي الوفا الأفغاني، دار المعرفة، 1973، بيروت ـ لبنان.
38- السكاكي، (أبو يعقوب-ت **626** هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط 2، 1987، بيروت ـ لبنان.
39- سيبويه، (أبو بشر عمرو بن عثمان-ت **180** هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط 3، 1988، القاهرة ـ مصر.
40-الشريف الجرجاني، (علي بن محمد بن علي-**ت 816**هـ)، التعريفات، دار الكتب العلمية، ط 1، 1983، بيروت ـ لبنان.
41- الشوكاني، محمد بن علي (**1250**هـ)،إرشاد الفحول، تعليق: أحمد عزو عناية،دار الكتاب العربي، ط 1، 1999، دمشق ـ سوريا.
42- صديق حسن القنوجي،(أبو الطيب-ت **1307** هـ)، أبجد العلوم، دار ابن حزم، ط 1، 2002، دمشق ـ سوريا.

43- عبد الكريم البغدادي، (سليمان بن عبد القوي-ت **726** هـ)، الإكسير في علم التفسير، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب ، ط 1، 2002، مصر.

44 - العسكري، (أبو هلال **395هـ**) ، الصناعتين، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط2، 1984، بيروت ـ لبنان.

45- العكبري، (أبو البقاء-ت **616 هـ**) ، إملاء ما من به الرحمن، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط 1، 1961، مصر.

46- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار النهضة، ط7، 1972، مصر.

47- الفارابي، (أبو نصر-ت **339 هـ**)، كتاب الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، 1986، بيروت ـ لبنان.

48- الكفوي، (أبو البقاء-ت **1094 هـ**) ،الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1992، بيروت ـ لبنان.

49- المبرد،(أبو عباس المقتضب-ت **285هـ**) ، تحقيق: حسن حمد، دار الكتب العلمية، ط 1، 1999، بيروت ـ لبنان.

50 - محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ط2، 1964، دمشق ـ سوريا.

51 - محمد بن علي الجرجاني(**604 هـ**) ، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبد القادر حسين، دار النهضة، ط 2، 1982، مصر.

52- محمد رشيد رضا (**1354هـ**)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1990، مصر.

53- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة، ط 1، 1997 مصر.

54- محي الدين الدرويش (**1403هـ**)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للطباعة، ط4 ، 1994،حمص ـ سوريا.

55- مصطفى الهاشمي، (أحمد بن إبراهيم -ت **1362 هـ**) ، جواهر البلاغة، تدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، ط 1، 1999، صيدا ـ بيروت.

ب/ المراجع:

01- إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخـي، معهد البحـوث والدراسات العربيـة، 1966.

02- إبراهيم أنيس ورفاقه، المعجم الوسيط، دار الدعوة الطباعة، 1989، استانبول -تركيا.

03- إبراهيم أنيس، دلالة الالفاظ، مكتبة الإنجلو مصرية، ط 3، 1972، مصر.

04- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط 5، 1988، القاهرة -مصر.

05- أحمد مطلوب، فنون بلاغية، دار البحوث العلمية، ط 1، 1975، بغداد-العراق.

06- تمام حسان، الأصول، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988، بغداد -العراق.

07-حسن عبد الرزاق، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتراث، ط 1، 2006، القاهرة — مصر.

08- رفاعة الطهطاوي، نهاية الإيجاز، دار الذخائر، ط 1، 1998، القاهرة -مصر

09- ستيفن أولمن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، 1973، مصـر.

10- السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية، مكتبة الآداب، ط 2، 2009، القاهرة.

11- صالح العايد، نظرات لغوية في القرآن الكريم، دار إشبيليا، ط2، 2002، مصر

12- الطاهر ابن عاشور، موجز البلاغة، المطبعة التونسية، ط1، 1932، تونس.

13- عالم سبيط النيلي، النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي، دار أسامة، ط1، 1999، عمان - الأردن.

14- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط 3، 1974، مصر.

15- عبد الرحمن حبنكة ، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، ط 1، 1996، دمشق - سوريا.

16- عبد الرزاق حسين أحمد ، الإظهار في مقام الإضمار، الوعي الإسلامي للطباعة، ط 3، 2011، الكويت.

17- عبد الله المنصور، مشكل القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط1، 2005، الدمام - السعودية.

18- عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط 3، 1992، القاهرة -مصـر.

19- العثيمين : - أصول في التفسير، دار البصيرة، ط 1، 2002،القاهرة - مصر.

- شرح أصول في التفسير، دار ابن الجوزي، ط 1، 2005، القاهرة - مصر .

20- على العاكوب وسعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة، دار الكتب الوطنية، ط1، 1993، بنغازي – ليبيا .

21- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، المكتبة العلمية، ط 2، 2002، بيروت -لبنان.

22- فاضل السامرائي : - معاني النحو، شركة العاتق للكتب، ط 2، 2003، القاهرة – مصر
- من أسرار البيان القرآني، دار الفكر، ط1، 2009، عمان -الأردن.

23- فايز الداية، علم الدلالة العربي، دار الفكر، ط1، 1985، بيروت - لبنان.

24- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، ط 3، 1992، عمان- الأردن.

25- فندريس، اللغة، تحقيق: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة البيان، 1950، مصر.

26- فيصل بن عبده قائد الحاشدين، تسهيل البلاغة، دار الإيمان، ط 1، 2006، مصر.

27- محمد أحمد ربيع، علوم البلاغة العربية، دار الفكر، ط 1، 1991، عمان – الأردن .

28- محمد بركات حمدي ، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل،، دار البشير، ط 1، 1992، عمان - الأردن.

29- محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1996، بيروت – لبنان.

30- محمد حسن عواد، تناوب حروف الجر في لغة القرآن، دار الفرقان، ط 1، 1982، عمان – الأردن.

31- محمد حسين آل ياسين، الأضداد في اللغة، دار المعارف للطباعة، ط1، 1974 بغداد – العراق.

32- محمّد نور الدين المنجّد، التضاد في القرآن الكريم، دار الفكر، ط1، 1999، دمشق – سوريا.

33- محمد نورالدين المنجد، الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار الفكر، ط 1، 1999، دمشق – سوريا.

34- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، 1962، مصر.

35- محمود بدري عبد الجليل، المجاز وأثره في الدرس اللغوي، دار الجامعات المصرية، 1975 مصـر.

36- محمود سليمان ياقوت، علم الجمال اللغوي، دار المعرفة الجامعية، ط 1، 1995، القاهرة -مصر.

37- محمود فهمي حجازي، الأسس الدلالية في تحليل النصوص، دار قطري بن الفجاءة ، ط 1، 1983، قطر

38- مساعد مسلم آل جعفر ومحي هلال السرحان، مناهج المفسرين، دار المعرفة، ط 1، 198، بغداد – العراق.

39- مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطباعة، ط 1، 1991، القاهرة.

40- منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، ط3، 1996، الإسكندرية -مصر.

41- مهدي الحرازين، بغية المريد من أحكام التجويد، دار البشائر الإسلامية، ط 1، 2001، السعودية.

42- مهدي المخزومي :

- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، دار الرائد العربي، ط3، 1986، بيروت -لبنان.
- في النحو العربيّ نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط 2، 1986، بيروت – لبنان.

43- -نصر حامد أبوزيد، الاتجاه العقلي في التفسير، دار التنوير، ط1، 1982 ، بيروت -لبنان.

نواس محمد علي الخفاجي، البحث الدلالي في كتاب أصول السرخسي، الجامعة المستنصرية، 2001، مصر.

44- نور الهدى لوشن، علم الدلالة دراسة وتطبيق، منشورات جامعة قار يونس، ط 1،1995، بنغازي - ليبيا.

45- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، 2007، إربد - الأردن.

46- وليد محمد مراد، تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام، منشورات الرشيد، ط1 ،1984، دمشق -سوريا.

47- وليد منير، النص القرآني من الجملة الى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1997، القاهرة – مصر.

48- يحي بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، مطبعة المقتطف، ط 2، 1914، مصر.

49- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة، ط 1، 2007 عمان -الأردن.

ج/المعاجم :

01- ابن دريد، أبو بكر (**321**هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط 1، 1987، بيروت – لبنان.

02- ابن فارس، أحمد بن الحسين (**395** هـ)،معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ط 2، 1970، مصر.

03- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (**711**هـ)، لسان العرب، تحقيق إبراهيم اليازجي، دار صادر، ط 3، 1993، بيروت -لبنان.

04- بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط 3، 1988، جدة – السعودية.

الجوهري، أبو نصر (**393 هـ**) ،الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطر، دار العلم للملايين، ط4، 1987، بيروت -لبنان.

05- الخليل بن أحمد ،الفراهيدي (**170**هـ)، معجم العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط 1، 2000، بيروت لبنان.

06- الرازي،زين الدين (**666**هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، ط5، 1999، صيدا -بيروت.

07- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (**502 هـ**)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط 1، 1991، دمشق – سوريا.

08- العسكري، أبو هلال (**395**هـ) ، الفروق اللغوية، دار الآفاق الجديدة، ط 1، 1973، بيروت- لبنان.

09- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (**817** هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005، بيروت- لبنان.

د/ الرسائل الجامعية:

01- رانية جها إسماعيل ،الطاهر بن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير، 2009، غزة -فلسطين.

02- سعيد بن طيب المطرقي، دور البلاغة العربية في دراسة النص الأدبي وتقويمه، جامعة أم القرى، 1996، السعودية.

03- عبد الرحمن مطلك الجبوري، الوجوه والنظائر في القران الكريم تاريخ وتطور،كلية الآداب، 1986، بغداد – العراق.

04- عبد الكريم شديد محمد، المشترك اللفظي في اللغة العربية، كلية الآداب ، 1979، بغداد.

هـ / المجلات:

01- إبراهيم بن سعيد الدوسري، معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط1، 2004، السعودية.

02- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، ط 1، 1986، بغداد –العراق.

03- جامعة المدينة العالمية، مجلة البيان والبديع، نشر جامعة المدينة العالمية ، ط1، 1993، المدينة المنورة، السعودية.

04- عثمان المهدي، حروف المعاني وأثرها في التفسير، مجلة الشريعة والقانون العدد 25 /2015، جامعة أم القرى، السعودية.

05- عليان بن محمد الحازمي، علم الدلالة عند العرب، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج15، ع 27، 2002، السعودية.

05– جامعة المدينة العالمية، مجلة البيان والبديع، نشر جامعة المدينة، ط1، 1993، المدينة المنورة، السعودية.

فهرس الموضوعات

الإهداء

الشكر والتقدير

المقدمة .....أ– د

المدخل 6

الفصل الأول: أثر البلاغة في المعنى

تعريف البلاغة وأهميتها 06

فروع علم البلاغة 11

التقديم والتأخير 16

الفصل والوصل 19

التعريف والتنكير 22

الإظهار والإضمار 26

القصر 29

الإيجاز والإطناب والمساواة 33

المجاز 39

الفصل الثاني: التغير الدلالي للكلمات

تعريف الدلالة وأثرها في فهم النصوص 44

علاقة اللفظ بالمعنى 45

مظاهر التغير الدلالي 48

انتقال الدلالة من العام إلى الخاص 49

انتقال الدلالة من الخاص إلى العام 50

رقي الدلالة 54

هبوط الدلالة 55

المشترك اللفظي 56

الأضداد 59

حروف المعاني 60

الفروق اللغوية 63

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية (سورة البقرة نموذجا)

سبب نزول وتسمية وفضل سورة البقرة 66

المفسرون البلاغيون 69

التقديم والتأخير في سورة البقرة 72

المشترك اللفظي في السورة 77

التضاد في سورة البقرة 86

حروف المعاني في سورة البقرة 90

الخاتمة 106

قائمة المصادر والمراجع 109

الفهرس 119

الملخص العام :

إن الدارس للبحوث اللغوية عند العرب قديما وحديثا يجد أنها كانت ولا تزال تسعى جاهدة لخدمة أقدس وأفضل كتاب وأشرفه وهو القرآن الكريم.

وقد كان العمد الكبير في الدراسة بالرجوع إلى التراث العربي شعرا ونثرا لفهم كتاب الله عزول، الذي نزل بلغة العرب وعلى عاداتهم وفي استعمالاتهم وحياتهم وشؤونهم اليومية.

وخير دليل على ذلك أن التفاسير الأولى كان السند الأول والأخير وبه البدء كلام العرب في ذلك، والشعر الأصيل الذي هو ديوانهم.

بيد أن البحث البلاغي تطور وازدهر في كنف الدراسات والبحوث اللغوية في عدة ميادين وكانت تحوم حول النحو والدلالة، حيث ما لبث إلى أن صارت الدلالة ركيزة أساسية بل فرعا يلتقي إلى حد كبير مع البلاغة في علم المعاني.

ومع هذا فلا تكاد العلاقة تنفك بين الدلالة والبلاغة، حيث إن الدلالة تدرج ضمن علم المعاني بالخصوص إذا تتبعنا نقاط اللقاء ومجال البحث.

ولعل أهم استثمار للبلاغة والدلالة من الجانب التنظيري وبالأخص التطبيقي القرآن الكريم كلام الله المنزل على أشرف الخلق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

ومع هذا فهناك مقولة مشهورة يعلمها القاصي والداني وهي (الألفاظ قبور المعاني)، التي يستشف منها: أن المعاني مترامية هنا وهناك علمها من علمها وجهلها من جهل.

والقرآن الكريم إعجازه البياني وسحر كلماته أربك الكثير من الدارسين البلغاء المتضلعين في فهم معانيه ومكنوناته.

وهو ماجرني إلى عدة إشكاليات أهمها:

هل القارئ لكتاب الله على علم بالمعاني حين القراءة؟، وهل البلاغة التي حدد معالمها علماؤنا الأجلاء قادرة على حصر إن لم نقل تحديد المعاني لفهم هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟، وهل دلالة الكلمات في القرآن واحدة أم متعددة؟ وما سر هذه الدلالة القرآنية؟، وكيف يمكننا تبيان أثر البلاغة في تغيير دلالة الكلمات في القرآن الكريم؟ .

وأملا مني في خدمة للقرآن الكريم وحرصا على إبراز بعض جوانب إعجازه التي كشف عنها الأقدمون والمحدثون، ولا يزالون يكشفونه، ويبقى البحث مستمرا، إذ يسعى ويجتهد الباحثون للتنقيب عن خبايا الوحي المنزل وبيان أسراره، حتى وضعوا علم البلاغة إلى جانب علم الدلالة، لإعطاء وجه هذا السحر البياني والرونق السليم والجزالة ومنتهى الفصاحة ومبلغ الفهم.

ويعد مجال البحث في القرآن الكريم من أهم الاستثمار المعرفي الموضح بالحجج الدامغة والمعارف القطعية، وهو ما جعلني أختار البحث في جانب البلاغة ووجه الدلالة في القرآن الكريم بالخصوص في سورة البقرة ليكون مسرح الدراسة بالتنظير والتطبيق، والتي نسأل المولى القدير أن أوفق وأحيط بجوانب البحث وأعطيه حقه ولو بالنزر القليل.

ومن جملة أهداف اختيار الموضوع ما يلي:

- العناية ببلاغة القرآن الكريم وإعجازه وبيانه.

- تأصيل العلاقة بين البلاغة وعلم الدلالة وتأثرهما ببلاغة الوحي.
- الإحاطة بأهم القضايا البلاغية وبالخصوص علم المعاني لصلتها بالدلالة.
- صقل الذوق البلاغي والدلالي لفهم النصوص وتذوقها والحكم عليها.
- بيان أثر القرآن الكريم في نشأة علمي البلاغة والدلالة وتطورهما.
- استنباط الخصائص البلاغية من خلال القرآن الكريم.
- التمكن من الفهم الصحيح للقرآن الكريم بإتقان دراسة الأساليب العربية البليغة ومدى تغيرها دلاليا.

وعليه ففي المدخل ذكرت بداية الدراسات الأولى للبلاغة والدلالة، وهو ما مكنني من الولوج إلى الفصل الأول والموسوم بأثر البلاغة في المعنى والذي تضمن تعريفا للبلاغة وأهميتها ثم فروعها الثلاثة (علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع)، وتحدثت عن أهم المباحث البلاغية من تقديم وتأخير، وفصل ووصل، وتعريف وتنكير، وإظهار وإضمار، وقصر وإيجاز وإطناب ومساواة ومجاز.

أما الفصل الثاني فقد عُنون بالتغير الدلالي للكلمات، وكان مضمونه تعريف الدلالة وأثرها في فهم النصوص، ثم علاقة اللفظ بالمعنى، ثم مظاهر التغير الدلالي (انتقال الدلالة من عام إلى خاص انتقال الدلالة من خاص إلى عام، رقي الدلالة، هبوط الدلالة)، بالإضافة المشترك اللفظي، الأضداد حروف المعاني، وختمته بالفروق اللغوية.

والفصل الثالث تطرقت فيه لسورة البقرة، وسبب تسميتها ونزولها وفضلها، وعرجت إلى المفسرين البلاغيين، ثم بينت تغير الدلالة في السورة بدءا بالتقديم والتأخير والمشترك اللفظي، والتضاد، وأخيرا حروف المعاني.

وقد تمحورت هذه الدراسة على شقين هامين هما:الدراسات البلاغية والدلالية وميدانهما.

فالدراسة البلاغية نالت اهتمام الكثير قديما وحديثا، و "قد قدم علماؤنا القدماء خدمات جليلة، وعظيمة، وكانوا يتوزعون على ثغور متعددة كل منهم يحاول أن يسد ثغرة وكان توفيق الله يحالفهم، نظرا التي ظهرت في علومهم الغزيرة، وظهرت كذلك في قبول الناس لذلك التراث العظيم الذي خلفوه.

واحتلت الأمة تلك المكانة العظيمة بفعل الإسلام، حيث انتشل الناس من حياة الضياع والضلال، حياة الطاقات المهدرة إلى حياة الإيمان والاستقرار، حياة العلم، حياة البذل في كل الميادين.

وليس ذلك بأمر مستخف، فلقد انبثقت جل العلوم التي خلفها علماؤنا بباعث إيماني وانتشرت دراسات متعددة حول القرآن الكريم، وينشئون من حوله العلوم التي تساعد على فهمه، وعلى استنباط معانيه، وكل ما يكفل الاستفادة العظمى من كلام الله تعالى.

وكانت البلاغة العربية من هذه العلوم، منذ أن كانت بدايات متواضعة إلى أن مخضتها التجارب، من خلال تتابع نظر العلماء الأفذاذ فيها، تحدوهم العزيمة والإرادة، فأصبح للبلاغة شأن عظيم، عرف قدرها كل من اشتغل بتفسير القرآن الكريم، حتى وجد أن العلماء يجعلونها من الأعمدة الأساسية لكل طامح إلى تفسير كلام الله تعالى.

هذا وقد ارتبطت البلاغة العربية تاريخيا بأمرين هامين هما:

الأول: كونها أداة للتعبير الجميل في كل نص أدبي رفيع، سواء كان هذا النص من نتاج البيئة الجاهلية أم بعد ظهور الإسلام.

الثاني: تلك الصلة العظيمة – حقا – بين البلاغة، وبين الكشف عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم

وكون الإعجاز القرآني إعجازا يرجع إلى فصاحته، وبلاغته ونظمه يكاد يكون موضع إجماع بين من كتبوا في الإعجاز قديما وحديثا إضافات أخرى كالإخبار عن الغيوب، وصدق الوعد، والوعيد والخبر قديما، وكالإعجاز العلمي حديثا.

ورغم هذا كله، فإن المذهب المختار في الكشف عن وجوه الإعجاز القرآني هو المذهب البلاغي بما تحمله من معان تدخل تحت مفهوم البلاغة أو النظم.

ومع هذه المكانة الرفيعة للبلاغة، فإنها قد أصبحت دعامة أساسية للعديد من العلوم اللغوية الأخرى، وباعتبارها ركنا ركينا في صياغة الأساليب على درجة كبيرة من البيان والفصاحة وتخير الألفاظ التي تزيد المعنى نضجا وكمالا وجمالا ،فالبلاغة إذن تبقى بضوابطها وقوانينها، لها فضائل جمة في إعطاء دفع قوي للمعاني، وللألفاظ.

ولزاما مني-بعد الخوض في غمار البلاغة –أنني إذا تحدثت عن المعاني، وجب الحديث عن الدلالة والدراسة في هذا الميدان، فقد نشطت هذه الدراسات الدلالية على نحو بارز قديما وحديثا. "وامتدت البحوث الدلالية العربية من القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية إلى سائر القرون التالية لها إلى جانب ذلك ، فقد كان البحث في دلالات الكلمات من أهم ما لفت اللغويين العرب، وأثار اهتمامهم عبر العصور وامتداد الدهور التي اتسمت ببروز عدة مؤلفات في ميادين مختلفة لدى مجموعة من العلماء الأفذاذ الذين تركوا لنا تراثا لغويا ضخما من أمثال ابن فارس ، ابن جني، السيوطي ...

بالرغم من هذا فقد امتاز الدرس اللغوي الحديث بالابتعاد عن الحدس والتخمين، والتوجه نحو الموضوعية العلمية البحتة التي لا تتأثر بالآراء الفردية ولا التصورات الجاهزة، وقد اتخذ من الملاحظة والاستقراء والاستنباط قاعدة يسير عليها، وهذا ما أكسبه الاحترام من قبل الدارسين.

والبحث اللغوي عند العرب منذ بداياته تركز على تحديد المعنى وما يحتويه القرآن الكريم من معان ومقاصد، فلقد كان هم الدراسات العربية بمختلف فروعها ومسمياتها نحوا وصرفا وبلاغة ولغة ومعاجم، " معرفة المعنى "،وكان النقاش والتوجيهات للمسائل التي دارت بين العلماء تصب في خانة المعنى وقرروا أن "كل ما صلح به المعنى فهو جيد وكل ما فسد به المعنى فمردود "، وهذا أقوى دليل على المكانة التي يحتلها علم المعنى.

وقد كان علم الدلالة جزءا ملازما لعلوم العربية لم ينفصل عنها، إلا أنه اتخذ مسارا مستقلا ومتكاملا قائما بذاته عند علماء الأصول ...

وإن علم الدلالة علم قديم وإن بدا أنه حديث، فما من أمة من الأمم إلا وبحثت في ألفاظ لغتها، محاولة تحديد المعنى الذي يحمله اللفظ عندما يكون مفردا، وبيان ما يؤول إليه المعنى عندما يوضع في تركيب، هو علم قديم باعتبار أن البحث في المعنى من حيث الوضوح والغموض والصحة وعدمها والاحتمال والفساد، وما تتعرض له دلالة الألفاظ من تحول في المعنى إلى معنى آخر وأسباب هذا التحول ومظاهر مشاهد وملاحظ في أقدم ما وصل إلينا من تراث الأمم.

والذي يلاحظ أن الكثير من الباحثين، بينوا ما للبلاغة والدلالة من أثر في تغير المعنى، وهو ما طرح في فصول المذكرة .

***نتائج البحث :**

- علم البلاغة اهتم بمعنى المادة في الكلمة المفردة، وبمعنى صيغتها، وبالمعاني التي تنشأ من حركات تركيب الكلمات ومواقع الكلمات في الجمل، وبالمعاني التي تتأثر دلالة ألفاظها بالسياق.
- البلاغة في مصطلح النظار من علماء البيان عبارة عن: حسن السبك مع جودة المعاني.
- فروع البلاغة هي: علم المعاني، علم البيان، علم البديع.
- التقديم والتأخير من أكثر المباحث البلاغية، التي نالت اهتمام علماء المعاني، ذلك الاهتمام الذي تجلى في رصدهم لصور التقديم والتأخير المتعددة، وما تؤديه كل صورة من قيمة دلالية، أو تأثيرية، مضافة إلى المعنى الأساسي للعبارة.
- عنصر الفصل والوصل من أهم المدلولات البلاغية، وقد وجد في علوم عدة، كعلم الخط العربي، والنحو، والقراءات وغيرها.
- اهتمام القدماء من النحاة العرب بالعرض للقضايا اللغوية المتصلة بالنكرة والمعرفة، وانتهوا إلى أن النكرة أصل والمعرفة فرع، واهتم علماء البلاغة بهما في ضوء النظر في الأداء اللغوي، لأن التعبير بالنكرة قد يكون أبلغ من التعبير بالمعرفة وربما العكس.
- الإظهار يحسن في موضعه، كما هو الإضمار في موضعه، ولكن الإظهار في موضع الإضمار أتى في القرآن الكريم كثيرا، محققا فوائد عظيمة وصلت به إلى قمة البلاغة، وتسنمت به ذرى الفصاحة وسنامها.
- القصر هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، ويقال أيضا: هو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه.
- لا يكاد يخرج تفكير كل إنسان، وما يريد أن يعبر عنه، وما يجول بخاطره، ويختلجه صدره عن إيجاز أو إطناب أو مساواة، وذلك مراعاة لما يقتضيه المقام، ومراعاة لأحوال السامعين.

- المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع.

- الدلالة هي ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، الذي توحي به الكلمة المعينة، أو تحمله، أو تدل عليه، سواء أكان المعنى عينا قائما بنفسه أو عرضا.

- الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كَلِمٌ مفردة، وأن الفضيلة وخلافها، في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ.

- من مظاهر التغير الدلالي: انتقال الدلالة من العام إلى الخاص، انتقال الدلالة من الخاص إلى العام، رقي الدلالة، هبوط الدلالة.

- المشترك اللفظي قد تدل فيه الألفاظ الكثيرة على معنى واحد، وكذلك المعاني المتعددة تدل على لفظ واحد، فَيطلق اللفظ ويراد به المعاني الكثيرة، ويحدث نتيجة لهذا اللفظ المشترك.

- التضادّ من سنن العرب المشهورة، وذلك بأن يطلق اللفظ الواحد على المعنى وضدّه، نحو لفظ (الجون) الذي يطلق على الأبيض والأسود.

- حروف المعاني ودلالتها جمعها الزجّاجيّ في قوله: "وحروف المعاني الّتي تجيء مع الأسماء والأفعال لمعانٍ. " أي إنّ الحرف ما دلّ على معنى في غيره، وأنّ معناه يتوقّف على ذكر متعلّقاته. فالحرف وحده لا معنى له أصلاً "·

- الفروق اللغوية بين الألفاظ المتقاربة والمتشابهة في الدلالة، ليس من السهولة بمكان، إذ كانت نظرة العرب القدامى إلى هذه الفروق تتسم بالدقة المتناهية في اختيار الألفاظ ذات التشابه في الدلالات والتقارب في المعاني.

- سورة البقرة اشتملت أحكاما كثيرة منوعة، وفيها ألف أمر وألف نهي، وسميت فسطاط القرآن، وذلك لعظمها وبهائها، وكثرة أحكامها ومواعظها، وفضلها عظيم وثوابها جسيم.

- نظرا لما للبلاغة والدلالة على حد سواء من أهمية بالغة فقد ذكرها الكثير من المفسرين في مؤلفاتهم، حتى عدوا من المفسرين البلاغيين كالطبري وابن عطية والقرطبي وابن كثير وغيرهم رحمهم الله أجمعين.

- التغير الدلالي الواقع في سورة البقرة سلطنا فيه الضوء على المشترك اللفظي الذي نجد أهم الإشارات إليه في هذه السورة، ثم بعده التضاد الذي هو نوع من العلاقة بين المعاني، حيث مجرد ذكر معنى من المعاني، دعي ضده في الذهن، وأضفنا عنصر التقديم والتأخير وهو مما لا تكاد تخلو سورة من هذا العنصر المهم من عناصر البلاغة.
- آخر ما ختمت به الجانب التطبيقي حروف المعاني وما لها من جماليات بالغة، وبيان أروع روعة الكتاب العزيز.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وبتوفيقه ومَنِّه تقال العثرات، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة سيد الخلق أجمعين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سلاما وصلاة دائمين إلى يوم الممات وعلى آله وأصحابه ذوي الكرامات.

موضوع هذه الرسالة هو أثر البلاغة في التغير الدلالي للكلمات، تم التطرق فيها إلى فروع البلاغة الثلاثة، وكان تركيزنا على علم المعاني كالتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والتعريف والتنكير، إلى غير ذلك مما يندرج في هذا العلم، ثم عرجنا إلى التغير الدلالي وصوره ممثلة في رقي الدلالة وهبوطها، وانتقالها، فضلا عن الإشارة إلى المشترك اللفظي والأضداد، وحروف المعاني، والفروق اللغوية بين الكلمات، وتناولنا في الجانب التطبيقي سورة البقرة نموذجا للدراسة، فوضحنا فيها بعض الجوانب البلاغية والدلالية.

الكلمات المفتاحية : البلاغة ــ التغير الدلالي للكلمات ــ سورة البقرة.

.....

Le thème de cette thèse est l'impact de l'éloquence dans le changement sémantique des mots ; ainsi les trois branches de la sémantique. Notre intention est basée sur la science de notions telles que l'inversion, la séparation et l'indétermination …etc. ensuite, on a vu le changement sémantique, sa décadence et sa transmission. Ajoutant les interférences linguistiques, les contraires, les prépositions, les articulateurs, et les conjonctions…et en a pris la sourate elbakara (la vache) comme exemple d'étude à la pratique et on a illustré quelques aspects sémantiques.

Les mots clés : L'éloquence - le changement sémantique des mots - la sourate elbakara.

.....

The theme of this thesis is the impact of eloquence in word meaning changement, we talked about the three branches of eloquence, and we concentrated on semantic like sending forward and postponement, separating and junction, determination and indetermination … to other things that belong to this science, then we raise the semantic changement and its types, represented in semantic progress, falling and transmission, beside of signing to Polysemy ,opposites, prepositions, conjunctions, difference linguistics and we took surah el-bakara (the cow) as example of study, explaining some semantic aspects.

Key-words: Eloquence - Word meaning changement - surah el-bakara (the cow).